

هدية الى سيدى الختم جناب الميومانولى فها اناطو

روايت

عوامل الشجون فى تاريخ ابن طولون

(تأليف)

أحمد أفندى حقي

﴿ أحمد أفندى حقي ﴾

﴿ وهي رواية تاريخية ادبية غرامية ﴾

—••••—

~~خطبته~~

(حقوق الطبع محفوظة المؤلف)

(طبعت بمطبعة النهج القويم بجوار السلطان الحنفى)

﴿ سنة ١٣١٥ هجرية ﴾

PJ
7828
H246

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدا لك يا باري . انسمات . ومبدع الكائنات . على ان هيئت لهم
جوبا لمفاوز المعقولات والمنقولات . وبسطت للعقول معاني التصورات
والتصديقات . فشكرا لك منحتنا منجاً لا يكاد يحصرها الحباب . وأتمت
علينا نعماً تقف دون احصائها اقلام الكتاب . وجمعت العصور تتعاقب
وتتوالي . وما جرياتها تتمثل عن غار الحاضر يتغالي . سبحانه لا نحصى
ثناء عليك . ولم تكن لنا مندوحة عن التسليم في كل الامور اليك . فأنت
المبدى . والمعيد . والرقيب والشهيد . اقتضت حكمته اختلاف في العالم اجناساً
وانواعاً . وتفاضلا سطرت اامل اقتدارك على صفحاته ابداعاً . فكرمت
بني آدم وفضلت بعضهم على بعض . بعد ان فطرتهم على فطرتك وجعلتهم
سبب عمران الارض . وسخرت لهم ما بين ايديهم . واطلعت في سماء
وجودهم طوالع الطبيعة . فاستهدت نسايتهم بها واجتذبتهم عواطف
رشدك البديعة . ولما تعلمه من أن نظام هاتيك العوالم يتوقف على السنن
القويم . والشرائع المعتدلة المنصحة لتتأخر الاعمال من صحيح وسقيم . ولا
يكون ذلك الا بوازع تطالبه المكنة النظامية . والهيئة القائمة العمرانية . تخيهت
الاخيار . وسنت سنن الاستبصار . واصطفيت انبياء تاموا بآيت ما اوحيت

اليهم برسل ملكوتك الكرام . وكان اولهم بالمعنى هو اشرقهم في الختام
فصلي عليه ونسلم فهو القطب الذي دارت على رحا اعتداله حركات انتظام
وانتهت اليه كل فضيلة يتنافس فيها ذووا المهمة العالية ودعاة الاحكام
صلاة وسلاما هما دستور صالحات الاعمال . وشعار المستنوين للبركات
في الاحوال . يعمان آله واصحابه الابرار . وكل تابع اجتذبه عوامل الاجتهاد
والاختيار (امامه) فلما كان علم التاريخ يجب ان يكون الشغل الشاغل
لهم المتدبرين . اذ هو تمثيل امام انظار الحضار لآمال الغابرين . وجب
علينا ان تلج بابه . ونخبر لبابه . عللنا نقف على جدوي . ترفع ألم الانين
والشكوي . فقد خات القرون وكلاها تشهد بفنيل الامم الحية فيها .
النزعة الي درى المناسد وتلافيا . واقرب عصر لهذا العصر المقدم
بمجاوب التصرفات . والمكفر جوهر من طواريء الكوارث المدلهمات . هو
عصر المباسين الذي حدثنا التاريخ عن شامخ مجدهم فيه وما كانوا عليه مما
لو ذكر لفد المداد وحقت الافلام وبما ان اشهر الحوادث وهو افضل في
النفوس اهتماما واجدر بالتأريخ اعمالا واحكاما فقد جادت قريحة هذا
العاجز القريحة باستخلاص خلاصة لذلك العهد الطولي في جعلها كرواية تمثل امام
العواطف الحية والاحساسات الشريفة ما هي حادثة ابن طولون العجيبة
على ندى غريب بمبارات فصيحة يسهل تناول المعاني منها واستنتاج
النتائج من حوادثها وأجل نتيجة تصح ان تكون ضالة الانسان
المنشودة هي ان يحصل على معرفة الاسباب التي ترفعه الي المعالي
وترجع به في مدارج الكمال اذا كان متجردا واجتهاده واجها ولا يربح
الا بالمثابرة على الاعمال المفيدة ومزاولة الآداب والتحلي بكرم الاخلاق

وجيل الشيم وبالجملة فهذه رواية أدبية تاريخية جمعت شتات ماجرى في
 عهد ابن طولون أقدمها بين يدي الادباء الالباء والفضلاء النبلاء مفرغة
 في قالبها الغرامي ومصوغة بيد جناح الي الفضيلة يقي الرزيلة والفضول
 ويشرحها مع الأدب في عدة فصول علمها تحوز رضاه وقبولاً واغفالاً
 للمقومات التي تظهر فاني معترف بقصورى وضعفى ولكن أرجو أن يكون
 تظلفي هذا على موائد الادب مكسباً لي شرف الالتحاق بخدام الآداب
 سيما وان هذه الرواية هي باكورة اعمالى فلو كانت كما انتقد لا تخلو
 من الخطاء فهو منتظر تجاء عجزى وحدائة سني الذين يكفاني عما
 ضى أمام محكمة التناظر الأدبي

وما سلكت سبيل افراغها في القلب الغرامي الا لعلنى أن النفوس
 تطمح غالباً الي التفكه والتروح بالسوانح المزوجة بخواطر الغرام فخدمة
 للشبية قد قت بهذا العمل رافماً كف تضرعى لبارىء الخلق اجمعين
 أن ينفو عن سياآتى ويفر زلاتى انه سميع بصير

سوانح تنبى عن مصورة قدمت أقدمها للمنصفين ذوى الفضل
 واطلب عفواً من كرام اجلهم فانهم والنقاد فى الصعب والسهل



﴿ التصل الاول ﴾

﴿ مصائب قوم عند قوم فوائد ﴾

كـ كيف شئت فان الله ذوكرم وما عليك اذا آذنت من يأس
 الا اثنتان فلا تقرهما أبدا للشرك بللله والاضرار بالناس
 في أواخر شهر رمضان المعظم سنة ١٢٥٣ هجرية حينما كادت الشمس
 ان تحجب عن العيون شخصا ويخطف يد المغرب من يد المشرق
 قرصها . كنت ترى عجوزا شمطاء تهول بسرعة غريبة في أحد
 شوارع مدينة بغداد التي كانت وقتها عاصمة الممالك الشرقية ومقر
 تحت الخلافة الاسلاميه تركض من شارع الى شارع ومن زقاق
 الى زقاق وقد قيل فيها

عجوز السوء لا يرحم صباها ولا ينفرتها في يوم موت

تقود من السياسة ألف بفل اذا حرت بخط المنكبوت

وكانت تلك العجوز تحدث نفسها بامور شيطانية مصممة على أعمال
 جنيمة خائفة من ذهاب الوقت خاشية من ضياع الفرصة حتي وصلت
 الى باب دار كبيرة في صدر زقاق صغير فوقفت أمامها وتناولت
 من هيئتها جملة أوراق مع بعض قطع من الجلد فأخذت في اشغالها
 بدهشة عجيبة ودمدمت بلهجة غريبة ملتفتة يمينا ويسارا خشية رقيب
 أو مفاجيء . يستطلع أعمالها الخائفة عن الاصلاح لما سترتب عليها
 من فساد الحال واخلال النظام واضرار من لا يستحق تطوعا في سبيل
 أغراضها الفاسدة وسعيا وراء نوالها مكانة سامية لدى مستخدميها

للك الغاية ... ومن حسن حظ تلك الحبيثة كان الزقاق في تلك اللحظة قد انقطعت عنه الأرجل وعنه الخفوت والسكرت لان سكانه جميعا في منازلهم متطرون أذات الغروب كما هي العادة في شهر الصوم الى وقتنا هذا

ولما فرغت من أفعالي تلك الملعونة وحظيت بنجاح أعمالها السحرية ارتدت راجعة وهي تجر في ذيل المكر متوثاة على عصا الخداع تستر بذكر اسم الله زورا وتسبحه بهتانا الى ان اجتازت الزقاق وصارت في وسط الشارع العمومي فارت الهونا وما كادت ان تشي بضع خطوات حتى صادفها أحد المكارين يخطر بجماره ذهابا وايابا. فنادته تلك المحتالة وقفزت كالشهاب صارت فوق ظهر الحمار بعد ان همست في أذن صاحبه ييمض كليات رفع في خللها عصاه الفليضة وأخذ يضرب بها حماره ضربات متواليات بدون ان ترجمه شفقة أو تمنه مرحمة حتى صير هذا الحيوان المسكين يهرول من شدة الضرب وألمه (كما نشاهده كثيرا ونراه عيانا من هؤلاء الوحوش الكاسرة مع وجود يوليسنا اليقظ النبيه ... يرمقهم ضاحكا بفؤاد مسرور وقلب قلص أو عبارة أخرى مع وجود تلك الحيوانات راتمة تحت ظل رافعة ورحمة - جمعية الرفق بالحيوانات - المقال بوجودها ...) وهكذا مازالا في كر وفر مسافة طويلة حتى وصلا جهة نهر الدجلة وصارا فوق جسر ناول العبيوز المكاري ثلاثة دراهم وصرقته حامدا شاكرا وظلت واقفة تلاحظه حذرا من وقوفه على حاله السيء وبمدها أخذت تسير بمجلة الى ان اقتربت من زورق صغير كان

ينتظرها بالقرب من الشاطئ، فأنحدرت إليه من أعلى الجسر وركبت فيه
بعد أن حيت قائده الهرم الذي قبل فيه

وشيخ فوق الأرض يمشي ولحيته تماثل ركبتيه
فقلت له لماذا أنت محني فقال وقد رمى نحوي يديد
شبابي في الثرى قد ضاع مني وها أنا نابش دوما عليه

ولما أخذ الزورق في شق المياه والأمواج تاعلم جانبيه قاصدا البر
الثاني التفت الشيخ إلى المجوز قائلا: لملك ياسيداهم كونهن قد فزت ظافرة
ونجحت في أعمالك التي كنت قاصدة لها

فضحكت للمجوز حتى ظهرت أنيابها وهزت أكتافها المموجة
بحالة لو نظرها القاريء في تلك اللحظة لتعوذ من الشيطان الرجيم
وقالت وهي طافحة بالسرور

نعم قد أتممت المرغوب وحق الملك المعبود وذلك برهان جلي
علي سمد الأمير برقوق لينال مقصوده المطلوب وسوف تسمع أيها
الشيخ عن قريب ما سيحل بآبنة الأمير {ياركورج} تلك الجاهلة الباطرة
للنعمة لرفضها زواج الأمير (برقوق)

فتبسم الشيخ وقال لها وهو يطرد التيار بمقذافية: وياهل ترى ما
السبب بأنخذه في تلك الكراهة مع كون سيدي الأمير أجمل أهل زمانه
فضلا عن ثروته الواسعة ومقامه السامي الذي ناله بواسطة أبيه الوزير
الكبير سيدي الأمير (بابكيال): أهل تجمد السيدة (جول) أعظم منه جاها
وأبود صاحب الكامة النافذة عند الخليفة؟

فقرعت المجوز قورتها ورقصت حاجبها وقالت حاشا إن تحوز

تلك الفاجرة مثل الامير برقوق وهو في هذا العصر رب الجمال
ومليك الكمال

وبعد ان سكنت برهة قالت ولكن لا بد من وجود مانع هناك
سوف اظهره بقوة سحري واذيق اباها العذاب الوانا في السجون
.. ولولا ان الامير برقوق مشغوف بحب تلك الفتاة لكانت تسببت
في قتلها وقتل من يلوذ بها.....

وما كادت تتم تلك الجملة حتى اصطدم الزورق في الشاطئ فأنبه
الشيخ من سباته وربط زورقه وأنزل المجوز الى البر

فتركه بعد ان ودعته وسارت تقطع الارض بقدميها حتى وصلت
دار الامير بابكيال واتجهت نحو الابواب الغربي الموصل الى الحديقة وولجت
منه قاصدة الكشك القائم بوسط تلك الحديقة

وكان الامير برقوق ينتظرها بداخل ذلك الكشك وهو متكئ على
وسادة من الحرير ويده (شبك) من الياسين يحلى بالجواهر النفيسة
الكرمية ترصيعاً وتركيا ويغمر بدخان فيخرج من بين شفتيه زوجا بلهب
الغرام وشرر الاشتياق الى ممدن الطرف واللطف وربة الادب والحسن
خادقة روايتنا السيدة جول ولسان حاله ينشد هذا التوشيح

ترى هل لليلي من آخر ترى هل لعشقي من ناصر آيت اقاى كروب الهوى
ونار اشتياقي لها شاجر واخفى هواها في باطنى دليلا يترجم عن ناظرى
سأصبر حتى ازال المنى وتحمد عاقبة الصابر

وأكم وجدى وشوقى لها ولا أظهر الحب في خاطرى
وما وقع نظره على المجوز حتى قام لها تعظيما على الاقدام وأخذها

من ذراعتها فأجاسها على مقدم من الابرسم بجلبته ثم انه حياها وهناها بسلامة
الوصول وناولها أحد {الشيكات} مملوء بالدخان

وبعد ان استراحت برهة سألها بلطف عما تم وهو ممن النظر في هيتها
ليستطلع من أحوالها علامات النجاح ودلائل الظفر والفلاح

فخلعت المجوز في وجهه وأدركت كنه قصده وعلمت ما جال
بضميره فقالت - لقد تم ما كنا نتمناه ... وسوف يذهب قلب الفتاة

جول كما التهب الورق الموقد وتحيطها جيوش التخيلات بل وفي منتصف
الليل تقريبا تدهم الحدا المظلمة وتسلبها الاحساس وتجعلها محتلة الشمور

فاقدة النظام فتصبح كالمجنون بل أضل سبيلا

تحقق حين ذكر ذلك قلب الامير واستولت عليه عاطفة الحب
وسطمت من مقلبه أشعة الندامة فقال وفرائضه ترتد وجلا أخشى

يا أمه انه بهذا السحر يذهب عقابها ويختبل رشدما فتصبح والحالئذ
مصابة بآفة السيئ المضيق لطيب الحياة والجالب لكل شقاء فيها اذ بعد

ذلك لا يتنفع بها ... فهذا أمر لا أَرْضاه ان يكون ولا أحب ان
يقع ... لانها استرقت فؤادي واسنبت رشدي بل وهي الحاكمة على جميع

عواطفى وروحي ... وأى ضرر يسببها لاشك يحزننى كيف لا وهي
أعز على من نفسى

وما كاد يتم حديثه حتى أخذته المبره وانحدرت سيول الشوق
على وجنتيه وارتمى بين يدي المجوز كالطفل باكياً وأنشد بين يديها

بصوت تقطعه الزفرات هذه الايات

لا تجعلينى والا شال تضرب بي كالمستجير من الرمضاء بالنار

والله والله لأنسى محبتها حتى أغيب في رمس وأحجار
 كيف السرو وقد هأم الرواد بها وأصبح القلب عنها غير صبار
 ولما شاهدته تلك الحبيثة على هذه الصورة المبكية ضحكت في
 سرها وأخذت تشجعه مظهرة اغتمامها وتكدرها وقالت بصوت
 مضطرب بعد أن تصنعت البكاء لأنها كانت شديدة الخدق في التمليق
 والمداهنة بارة في فن الاحتيال ووقوع الشغب في الاحوال

ما عليك من بأس أيها العزيز ولا تخف من ذاك ولا تجزع لان
 صرف تلك الحالة عنها هو من أهون الامور عندى وفي أى لحظة
 شئت أمتنع التخيالات عنها وأنزىل ما يعترىها من الجنون الصناعي فتجهد
 في مكافحة الزمن العنيد فانه غلاب سيما اذا أعانه المشق الشديد وتمسك
 بحبل الصبر مع الكتمان حتى تتم جيلتنا وتفرغ من أعمالنا

اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة فان فساد الرأى ان يترددا
 وان كنت ذا عزم فأنهذه عاجلا فان فساد العزم ان يقيدا
 فاستغز الامير هذا الكلام ووقف ممتنع اللون منكس الرأس وتحقق
 انه وقع في عمل صعب المرام وطرق مفروسة بالاهوال ولا بد له من
 الحزم والتدورع بالصبر فقال بصوت خافت
 - هل المدة المقررة للعمل تطول ؟

- كلا أيها الامير فانها لا تزيد عن ثلاثين صباحا وبعدها تنظر
 المذنب حيث ترى محبوبتك لا تريد من الرجال سواك .. وذلك بفضل
 ما سألتوه من الاسماء وما سأسطمنه من الطالسم التي تعجز الشياطين
 عن فك رموزها وبطلان مفعولها .. فكن مطمئن الخاطر مستريح

البال واني أهنيك سلفاً على قرب الحبيب مع الهناء المتواتر والفرح العميم
وبعد ان تأملت هنية استأنفت الحديث قائلة : انما غرضي الوحيد
ان تبحث لنا عن محل منفرد نجعله مركزاً لآعمالنا وبيتاً حصيناً
لارصادنا وننتخب من الخدم من يكون صادقاً أميناً يحافظ على أسرارنا
ويساعدنا على بعض أعمالنا

فأجابها الامير باتمام ذلك عن قريب متمجبا من ثاقب آرائها
مستغنيا من حسن تدبيرها وانسر سرورا عظيما حينما تصور ان
السيدة جول ستصير قرينته في المستقبل... ولكن اتقبل كاهله وصرت
غمامة سوداء غشيت بهره وامتلكه الوساوس ودهمت الهواجس حينما
نظر في امرأة خياله فتشبع له بمظهر حبيبه المفعج يمثل أمامه دور
الجنون المحزن

فترقت عيناه بالدموع وفاضت المبرات من أجنانه ولم يطق
صبرا وركع أمام ربة الفتن وعجوزة المحن مستغيثا بها وأخذ
يسترحمها قائلا

أشكرك ياأمام على تلك المساعدة الجليلة وعلى هذه الخدمة الشريفة
التي لاأناها مع مرور الايام وتكرار الايام... ولكن لايمكنني
ان أتكبد عذاب السيدة جول بل ولا أطيق ان تقوص في لجج الجنون
هذه المدة الطويلة

فأجابته المجور بنظاطة حيثئذ ما الغرض ؟

- الاوفق ان يكون غشايتها وانفعالاتها في مواقيت معينة في

مدى اليوم

- لا جرم ان محبتك شديدة وشغفك عظيم ؛

- كيف لا

أتاني هو اها قبل ان أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا
فوعده المجوز باستدراك الامر وتهدت له بما يسر خاطره ويربح ضميره
وقامت متجهة نحو الحرم بعد ان ودعته بحملى البناء وشيمه الى البناء



يادار ما صنعت بك الايام لم تبق فيك بشاشة تستام
عجبي ايها القارىء بافكارك النيرة الى ذلك الزقاق الذي دنسته تلك العجوز باسجارها
والى تلك الدار التي هيبتها بعد السكون ودهمتها بالاحزان والاتراح
بعد السرور والافراح - كيف لا - وما انتصف الليل وانسد الظلام
حتى هاجت الدار وماجت بمن فيها واخذ سكانها في الصياح والولولة
والبكاء والمويل حتى مطلع الفجر

وكانت هذه الدار للامير يار كورج اكبر حراس الخليفة وبالمصادفة
كان غائبا عنها فى تلك الليلة المحزنة حيث كان يدار الخلافة يلاحظ حراسته
ولكن لم يكده يصل اذنيه هذا الخبر المفجع حتى أتى وهو ولا الى داره
لينظر ما السبب ويتلافى امره وما وصل داره وسمع تلك الضجة والغوغاء
حتى عمرته نوبة اوهام وحيرة واستولت عليه الدهشة وأخذ العجب
والاستغراب وسأل اول خادم صادفه عن هذا الحادث المشؤم

فأجابوه وهو يذرف الدمع : لانعم ياسيدى لهذا من سبب - انما
بعد ان أغلقت الابواب واخذ كل من بالسراي التماس واذا بتلك الضجة
دهمتنا بقعة من داخل الحرم فانتهينا برعدة مذعورين ومن ذلك الهول

مرعويين نال عن الخبر ونستفهم عن السبب فأنجأنا احدا لخصي
بأن السيدة الصغيرة عراها جنون

فلستحوذ على قلب الامير ياركورج جزع المعلوم المغموم فؤاده
وصعدا جلالي الحرم ليتحقق تخوي هذا الخبر بعد ان منع الجميع عن
الصباح وزجرهم عن الولولة ودخل متصورة ابنته فوجدتها على اسوء
حالة حيث نظرها ممزقة الثياب مفككة الشعور تضرب في نفسها وتذب
على الارض بقدميها ولولا ان واليتها وبعض الخدمه قابضون عليها
لاأثقت نفسها من فاقدة العرفه :

فانزعج الامير من حالتها واتذعر من هيئتها واقشعر جسمه من
هول ذلك المنظر الذي يفتت الاكباد وينذيب المهج ولكن ثبت جاشه
وأمر في الحال واليتها المسكينه ومن معها بالخروج وتركه منفردا
يحاول تثبيتها وتسكين اضطرابها

ولكن هيات ان يفلح فانها ما زادت الا اضطرابا وهياجيا واعيته
الحيل فقبض عليها بقوة واقاها على فراشها وضغط عليها بركبتيه
وطوقها بساعديه وصار يتلو بعض آيات قرآنيه وحكم نبويه هكذا
ساعة من الزمن حتى اخذت السيدة جول في الهدو واخذت الى
السكون شيئا فشيئا واخيرا استفرقت في الناس فقام الوالد المشفق
المحزون عنها وخرج من مقصورتها واسان حاله يقول

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر

❦ الفصل الثاني ❦

﴿ تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن ﴾

واني وان اخرت عنكم زيارتي لمذر فاني في المودة اول
وما الود ادمان الزبارة من فتي ولكن علي ماني القلوب الممول
يحمد القاريء بمسافة ساعه عن مدينة بغداد قلعة صغيره حربية
وبها من الجنود ما يزيد عن الاربعمائه تحت قيادة شاب يافع يبلغ من
العمر سبعة وعشرين حولا ولكنه طويل القامة عريض الاكتاف ايض
اللون تلوح على عيانه الجليل دلائل النجابة والنباعة وتظهر من سمته اللطيفة
علامات الشجاعة والقراصة ويفوح من فطنته عطر الفضيله والعفاف
وقال في تلك اللحظة جالسا متكئا على مكتبته واضعا يده على جبهته
وهو غارق في بحر من التأملات يتلاطم بلجج من الافكار يضرب
أخماسا لاسداس

واذا بباب الغرفة يطرق فتنبه الشاب مدعورا واستيقظ من سباته مدعوشا
وقام نحو الباب وفتح فوجد الطارق احدا الجند ويده مظروف ناوله اليه بعد أداء
التمظيم الواجب عليه
فأخذه القائد وارتد راجعا مكانه بعد ان أوصد باب الغرفة وفضه بيد صرتمشة
وأفكار مضطربة وصر بنظره على ما هو آت فيه
أيها المحب والمحبوب

بما ان القرص مكتني لزيارتك والوقت أسعدني لمشاهدتك ورويتك فظن جالت نظاري

بنت العم

حسب المادة ... ولك الفضل

ج

فتبسم القائد عند تلاوته وانسر فؤاده وانشرح خاطره وزال ما به
من الهواجس والوسواس وقام مسرورا فرحا قاصدا دولاب ملائسته
وخلع ما عليه من الملابس الرسمية وارتدى بخلافها وخرج من الغرفة
حتى وصل الى باب القلمه العمومي

وهناك استدعي وكيله والقي عليه بعض ما يلزم من التثنيات وهمس له سرا عن
وجهته حتى اذا وردت أوامره مة يرسلها اليه عاجلا

ثم امتطي صهوة جواده مصطحبا معه طابته الخصوصي وندب به المزين (أحمد بن
الواسطي) وأخذوا يمدوان بسرعة ونشاط حتى وصلا الى مكان خال من المارة
عامر بالسكوت قد ألبست أكنة حلة من الاشجار وفرشت أرضه ببساط من
الازهار زهت به مناظر الطبيعة وتقلبت عليه الطيور البديعة و

اضواءه طبق المنى وهو اژه يشتاقه الوها في الاشجار

وانطبع معتدل فقل ماشيته في الظل والانهار والازهار

فجاست تحت شجرة عالية من الياسمين تقو ح منها الروائح الزكية بالقرب
من خليج صغير تتماوج مياهه فيسطع منه بياض شفاف ينير ما حوله
من الازهار والاثمار وامامهما مسلك ضيق ملتف بالانصاف والاشجار
تكاله الدوالي والاصناف

. وطفنا يتجاذبان من الحديث اشجاء ويتسامران بالنوادر الادبية
والحكايات الفكاهية والاشعار الغزلية مما كانت تجول بخاطرهما
وتستحسنه اذواقهما

ولكن كانت نواظر قائدنا العاشق شاحضة على الدوام الى ذلك
الطريق وكلما حرك النسيم مابه من الاشجار وتضاربت في بعضها الاغصان
يرقص قلبه طربا ويخفق فؤاده فرحا

خيالك بين طابقة الجفون	وذكرك في الخوافق والنسكون
وحبك قد جري في العظم منى	كجري الماء في ثمر القصون
ويوم لأراك يضيق صدرى	وتمذلي المواذل في شجوني
ايا من قد تملكى هواه	وزاد على محبته جنونى
خف الرحمن في وكن رحيماً	هواك انافق ريب المنون

خصوصاً وكانت تلك الالية حائكة في السواد مخيطة بالظلام فكان كلما
شمر بحنيف خفيف أو أدنى حركة ظنّها دبدبة اقدم لهبوبة ومنية
قلبه فيستيقظ بدعشة ويمر نظره بلهفة فلا يرى غير الظلام ولا يسمع
خلاف دوي الاشجار وخرير المياه فينقبض قلبه حزناً ويذوب جسمه
ولمّا حتم مضى اليمام المحدود فتراكمت عليه الهموم والاحزان ودعته
الاكدار والاهوال وغاص في بحر ان الظنون تتنازع عوامل الافكار
وتروح به وتقود اظمان الاوهام في فيافي الحوادث وصار فؤاده
يحقق ويروى عن الظن مدعشات المشاق فتارة يقول ما الذي
اصابها في الطريق — عهدي بها الصدق وعدم الخداع — وما شمت
منها يوماً خليفة كذب في الوعد فلا بد من حصول امر قد اوحى اليّ
به ضمير حبي لها الصادق ما الى التصافي والتلاقي بين المتحابين وما اصعب واخطب
من تمزيق الشمل وتقريق ذات الين . أوام من صفو لا يتم وكدر لم ولكن لا بد مع
الشدة من رخاء ومع العسر من يسر ومع الضيق من فرج

رأيت الهوى حلوا إذا اجتمع الشمل وصرا على الهجران لا يل هو القتل
ومن لم يذق لاهجر طمأ فانه اذا ذاق طعم الحب لم يدر ما الوصل
وقد ذقت طمعه على القرب والنوى فأبده قتل وأقربه خبل
وبعد ان لم يجد معه غير السكوت برهة غير وجيزة ثار في
خلالها ثار الهواجرس ونأجج لهيب القلب فالتفت الي نديمه العزيز
ورقيقه المحبوب وكان كاشفا له عن كنه أسرارها عالما بجميع حركاته
وسكناته قال

ماذا تقول وماذا تفكر في هذا الجفا الذي أدننى ؟
فأجابه باطن ووداعة بعد ان قدح زناد فكتة : ان قننى دار في
خلدى وتصوره عقلى اما ان يكون قد حصل انحراف في المزاج أو
حذرا من بين ساهرة

— نعم هذا ما افكرته أيضا ... ولكن أظن ان المانع خطير ..
والسبب مهم جداء قال ذلك وعيناه مفرورتان بالدموع
— وأنا أظن ان الامر واه لا يتحجب اشغالا للبال ... فامح
عن ذهنك كل تصور خفيف وفكر مؤلم
وكان أحمد بن الواسطي ابتكر تلك الجمل المزوجة بالالطف
والتمثيل ليخفف بها ويلات التأثير المحيطة بسيدته حتى ظهرت ملامحها
على محياه

وبعد ان تأمل القائد هنية قال أرشدنى ما العمل لقد ضاقت
صدرى وعيل صبرى حيث خاب الامل بذهاب الوقت ولا يرجي
محيوه بعد هذا الأوان

هذه دموعك ياسيدي : فان الخطاب سهل واصبر قليلا وانتظرنى
حتى اذهب لاستكشاف الحقيقة واعود بى يسر خاطرك ويبتاح
له ضميرك

فاستحسن القائد ما تقوله به ابن الواسطى وأذن له بالرحيل مع
سرية العودة وعدم التهاون.....

وما كاد ان يفرغ من كلامه حتى سمع وقع أقدام ولمح زوالاً
قاصداً لهما بهجلة زائدة

فخفق قلب القائد وأبرقت أسرته ووقف شاخصاً بعد ان منع
ابن الواسطى عن السير وما مضت لحظة حتى انكشف الخيال وظهر
القادم واذا به أحد فرسان فرقته ويده مقاروف

فاختطفه القائد وأمن النظر فيه بعد ان أمر ابن الواسطى
باشغال قبيلة واذا هو أمر رسمي هذا نصه :

الى حضرة احمد بن طولون

بوصول هذا لعارفكم يلزم قيامكم تواجهاً بينكم من الفرسان والنوجه
بدون تهاون الى قلعة علاء الدين لتقوموا مقام حاميها التى صدرت
اليها الاوامر بالسفر الى البصرة

القائد العام

أبو الفتح

فما فرغ من تلاوته حتى كاد ان يفشى عليه ووقف صامتا
كالمذهول لا يبي ما يقول ولا يدري ماذا يفعل وكان حروف هذا
الخطاب سهام خرقت صحيفة قلبه ومزقت سجد كبده

حوادث الدهر قد تأتي على خطر فاحذر عواقبها تتيج من الضرر

واعد له من دروع الصبر سائفة تقيك شتمها ذرعه بالشرد
 فقطن من ذلك ابن الواسطي وعلم ما لم بيده وأسرع فأيقظه من
 دهشته بمحدث ومهارة وقال بصوت جهور لينبأ سيده من غشيانه ...
 الاوفق يا سيدي ان تبعد القلعة للثنيه علي الجند بالاستعداد حيث
 الوقت أذف وكاذ الفجر ان يلوح ... أما الما فاقصد المحل المهود
 وبعدها ألحقكم بالقلعة فنكون انجزنا المرغوب ونحصلنا علي المطلوب
 فوافق علي ذلك الامير ابن طولون وتحقق ان الانتظار لم يجز
 تما فطالب جواده وامطى صوته ووخز بقدميه ولكنه بهمازاته
 فانطلق كالريق ينهب الارض ويقطع الطريق بخطواته المسرعه وكان
 اطلق من مقلتيه مع عنائه ثنائ البكاء والنحيب وهو في مسورة
 الافكار تحيط بفؤاده الاكدار حتي وصل الي القلعة فوجد جميع الجند
 علي اهبه السفر مستعدين للرحيل
 فاستدلي عليه الاستغراب وسأهم عن الذي اخبرهم بأمر الرحيل:
 نتقدم اليه وكيان الفرقة وقال بعد ان حياه عن نفسه انه هو الذي
 اعلمهم وانجز الاشغال حيث ان حامل الخطاب آفهمه بأمر السفر
 فشكره الامير ابن طولون علي حسن اتمامه وفي الحال امر بضرب
 طبل الرحيل فخرجت الجند بعدادها وعددها خارج القلعة واصطفت
 بانتظام في ساحاتها واستعرضها القائد وناداه بعدة حركات حرية فملتها
 بترتيب حسن ونظام غريب واستمر الاستعراض حتي انكشف الضباب
 واخذت الشمس تنجلي في الافق واذا يا احمد بن الواسطي قادم بجواده
 وجسمه يرفض عرقا من عظم الركض ولما قرب من الامير ابن

فيما أنبأني عنه... وهي حقيقة قاتلة خادم السيدة جول (لؤلؤ) خدمك
بأنه كان قادما علينا ليعلمنا بما ألم بسيدته من الانحراف الذي أوجها
إلي التأخير فأجابته

- نعم قاتله ولكن ثم نكس رأسه مطارفا إلى الارض
متفكرا فيما سنؤول إليه حالة الأمير ابن طولون لو كشف له باطن
الامر وأحاطه بكنه الحقيقة فصمم في سره أن يلقى حديثا مناسباً
وجواباً مقبولا حتى لا يتذكر صفو سيده وصديقه ويقع في فخ
الهموم والاحزان

ولكن الأمير احمد بن طولون ما أمهله ليرتب ما خطر في باله بل
صاح بفتة قائلا . ما لي أراك تلممت في الجواب وصمت تلك المدة
... أظن ما أخبرتني عنه مقلوبا عن الحقيقة وما حدثتني به كان تمويهاً
أجيبني بالصدق وأفندي بالحق

- فما بعد لكن (...) ؟ ؟

فانزعج ابن الواسطي ورفع رأسه مدهوشا بفرائص ترصد وبان
يرتمش وبصر سيده مقابو الهيئة متغير السحنة بوجه مكفور وعينين
شاردين يسطع من يياضهما الشرر فزاد اضطرابه وتلفظ بصوت
متقطع قائلا .

ما نظرت خا رايت خادما ذهبت إلى ز فو

لا بل

فلما رأى الأمير ابن طولون هذا الاتذمال وسمع منه تلك الثثرة
الغريبة المفهومة لاح منه بريق الغيظ وحي الدم في جسمه وانقلبت

مقتلاه في قبة راسه وقبض على كتف ابن الواسطي صارخا . هل جنت ؟
هل اختل عقلك ؟ هل شاهدت امرا غير محمود العاقبة ؟

فاستدبر ابن الواسطي بارتباك الامر وصحا من غيبوبته وتأمل
موقفه الحرج ومركزه المحدقة به الاخطار وندم على ما فرط وعلم ان
الذي صدر منه جاء اشد ضررا على سيده كالثلث السائر (اني ليكحلها
فمماها) فبا كان منه الا النطق بالحقيقة حيث قال

هفوا ياسيدي وعذرا ... فاني ما اخفيت الحقيقة الا اشتافا بك
ورأفة على جسمك اللطيف خصوصا وكنت وقتها على اهبة السفر
فخشيت الفضيحة وانكشاف السر ... وبعد ان تفكر مليا اردف ما
قاه به مستدركا على ما فرط منه وترتب عليه هذا الاضطراب العظيم بقوله
وحيث لا بد من احادثك بهذا الحادث المشؤم فاعلم اني لما
تركتك اطابت لجوادي العنان حتي اقتربت من زقاق الامير ياركورج
فتركت الجواد في محل خفي ودخلت الزقاق فوجدته في هرج ومرج
مزدهجا برجال اكثرهم خدمة الامير فدهشت من هذا الحال المريع
واردت ان استطلع الحقيقة فافتحمت ذلك المزدهم واختلطت بالجمع
وقربت من باب الدار لانظر ما الداعي لهذا التجمع فسمعت صياحا
وولولة تفتت الاكباد وتذيب الجراد واستفسرت عن الخبر من احد
الخدم فأجابني والدمع ملي عيني ان بنت الامير اعترها جنون ..

هنا امتقع لون الامير ابن طولون وعلاه الاصفرار ومرت على
وجهه غمامة سوداء غشت ابصاره

ثم اتبع حديثه ابن الواسطي قائلا . وما سمعت هذا الخبر الا

وانقضت عليّ صانعة الكدر حتى من ألم الاتجاع كادت تلتفب
وعزمت علي الرجوع واذا بضجيج ومشاعل مضيئة واناس وافدين
بسرعة نحو الدار

فازويت بجانب حائط وتأملت في القادمين واذا به الامير ياركورج
محاطا بكبة من رجاله وحاشيته واخوانه وظليت اترقبه لكي اري ماذا
يتم. ولكن بدخوله سكنت الضجة وانقطع الصباح وقفلت الابواب
وصرت وحيدة في الزقاق

فما كان مني الا ان ارتديت راجبا خصوصا وقد خفت من ذهاب
الوقت وضباع الفرصة وقدمت عليكم فاعلمتكم بغير الحقيقة لكي لا يزعج
خاطرك ويتألم فؤادك ويترتب امر خطير يوقعنا عن المسير
وما كاد ابن الواسطي يتم جملته الاخيرة حتى سقط الامير ابن
طولون سقطة فتبيل خائر القوى منحل المزائم

فاندش ابن الواسطي وافشمر جسمه وتغير لونه من هول هذا
المنظر المنزع وتدارك الامير واحتضنه وصار يوقظه ييمض المنبهات
بمدان اجاسه على مة مد بالقرب منهما حتى افلق من غيوبته وقبض على قلبه بيده
واخذ يكي بكاهمرا وينرف الدمع حتى ابتل ماتحت قدميه

فلم يطق ابن الواسطي ان ينظر سيده النجاع على هذه الصفة
المحنة وبهت في وجهه المألي بالا صفرار قائلا : خفف عنك يا سيدي
هذا الوبل وارفق بجسمك الذي كاد ان يذوب اسأ وتوجما واطرح
من فؤادك تلك الاحزان المسقمة واحم عن ذهنك تلك الافكار المقتلة
فإنما تفتش تلك الموم وتزول هاته الموم وربما عسر اعقبه

يسر وضيق اعقبه فرج

إذا ضاقت بك الاحوال فكر في ألم تشرح

ففسر بين يسرين إذا امتدته تفرح

فتنفس الاءير ابن طولون الصمداء وتأوه بقلب مجروح وروح مجروح
ميدان المدهشات نتاجياتها بما هو آت

الهي لقد ضاقت بي الدنيا وصرت هذالاه سائب وعرضة للاحوال والاعطار
فانقذني رحمتك يا رحيم وفرج كربتي يا كريم يا حلیم انك علي كل شئ
قدير وبالاجابة لجدير

قد ضاقت بي سجن المصوم . فقه ال لاسي من سراح

يا رب ضقت بوحدتي ذرعاً وبالكره المتاح

فاكشف كرب النفس او فاذن لروحي بالروح

—*****—

❦ الفصل الثالث ❦

❦ ان الطيور علي اشكالها تتع ❦

قارب حشوها حسد وغل واخفان كنيران الزناد

فما هذا اتفاق بل تفاق كصالح العامرية بالفساد

تركنا الامير برقوق في الكشف متفكراً فيما امرته به العجوز الساحرة التي
دخات الحرم وهي متوكأة على عصا الوقلد متسرلة برداء الغاف حاملة لواء الصلاح
تظهر لمن رآها انها الهة في الحكمة والزكاء كريمة الحسب شريفة النسب

فخرج الجنائني تاركا سيده حيث كان يجول بالحديقة وسارع السحاب في وصوله الى السوق وقسارية المويليات واشترى بعض الاثاث ولوازم الجلوس من مقاعد ومنصات واوصلها داره بعد ان نظفها ثم ارتد راجعا قاصدا سيده الامير فوجده بداخل الكشك وبجانبه المعجوز الساحرة وهما يتحدثان ويتشاوران فأخبره بما تم

فقام الامير وبصحبة المعجوز وامامهم الجنائني وخرجوا من باب سر صغير وساروا قاصدين الدار الجديدة حتى وصلوها فلما رأوها المعجوز كادت تطير من الفرح لانها جاءت حسب مطلوبها وغاية مرغوبها وحقيقة كانت تلك الدار اشبه بمريض لصوص ومخفى من حيث بعدها الشاسع عن جميع ما جاورها من المساكن ومنظرها الغريب لانها كانت متوسطة بين تلؤل صغيرة ملتفة بغابة كبيرة يجدد الداخل فيها طريقة طويلة مظلمة موصلة الى ساحة صغيرة بصدرها باب منخفض يدخل منه الانسان بكل صوبة فيري مدرجا على شكل حلزونى ينتهى الى طرفة ذات زوايا ضيقة ولفتات صغيرة فى آخرها منحنى طيعى من الصوان يصل الصاعد عليه الى صالة صغيرة بها غرفتان يسقط اليها الضوء قليلا من ثوافذ صغيرة مثقوبة من اعلاها

فلما وصل الامير الى تلك الصالة استغرب من هذا الشكل العجيب والتفت الى المعجوز قائلا . اخن يا امامه لو بحثنا فى عموم البلدة وقتشنا جميع الاماكن لا نجد مثل هذه الدار العجيبة حتى سجن الحكومة الموسوم (بالجب الاسود) فقبضت المعجوز وقالت له لا بد لتأسيس هذه الدار على هذه الصفة شأن غريب وحديث عجيب ثم التفتت الى الجنائني قائلة . لعلك تكون

عالمًا بقصتها فتقصها علينا

— كيف لا اعلم وهي مسقط رأسي وصنع اجدادي بل وتذكاري العزيز
— اذا فشف آذاننا بقصتك واطربنا بدرر حديثك ؟

فابتدا الجنابي يحدثهما بقصته ويرد تاريخ حياته الدال على سفالة
اصله بعد ان جلسوا بالفرقة المفروشة قائلا

اعلمى ايتها السيدة حالك الله ان جدى كان رئيس عصبة من الاوص
مركبة من ثلاثين رجلا وكانوا السوا هذه الدار واتخذوها مأوى لهم يتجشون
اليها وقت الضرورة وعند الميit حيث كانت هذه الجملة غير أهلة بالسكان
بل كانت جبالا وتلولا متخلفة من بقايا مدينة طمرت آثارها ودرست
معالها تقالبات الدهور وكوارث الايام

وكانت تلك العصابة من اشقي الملوقات وافسد العباد تجول في الخوات
والصحارى متربصة لكل قافلة دنت آجال اصحابها فسطرو عليها ونهبها بعد
قتل رجالها وسبي نساءها وكثيرا ما بحثت الحكومة عن تلك العصابة
لاستصال شأفتها وارسلت الجند المرة بعد الاخرى لاقتناء اثرها ولكن
كانت تمود بنحى حنين ولا ينالها الا الفشل والحذلان

وبعد مضي زمن توفي جدى فتخيرت العصابة والدى رئيسا عليها
ومكثت على اعمالها القضيعة مثابرة على الفساد واقتلاق راحة العباد
لنماية اوائل سنة ١٢٣٤ هجرية فاهتم الخليفة المتركى بن المعتصم بتلك العصابة
غاية الاهتمام وانلزم اكبر قواده المدعو طولوت الجرکسى بالبحث عنها
وضبط رجالها أينما كانوا وحيثما وجدوا

فبدل هذا غاية الجهد وشمر عن ساعد الجد والنشاط وتربص لها آفاه

الليل وأطراف النهار . متفنيا آثارها وبعد كل مشقة عثر بها في هذه الدار
فحاصرها بالجند وهجم عليها بالفرسان وبعد مدافعة شديدة ومقاومة
عظيمة من أبي ورجاله ككت قوائهم وانحلت عزائمهم فتمكن من
ضبطهم والتبض عليهم

وهنا اخذت الجنائي العبرة فإن وبكى حتي اغرق وجناته وبلبل
شواربه بالدموع حيث تذكر موقف القصاص المرعب واعدام آبيه ومن
معه بحالة شنيعة جدا جزاء ما جنت ايديهم وعبرة للقوم المجرمين

ثم استأنف الحديث قائلا بتأوه وتحسر - ثم ساقوهم الى السجن مكبلين
بالسلاسل والاغلال وبعد محاكمتهم بقساوة وتمذيبهم الاثيم صدرت
الاحكام باعدامهم شنقا وانحلت تلك المصيبة ولم ينبج منها خلاف والدتي
وانا حيث كنت حديث السن لا ابلغ من العمر غير عشرة سنوات تقريبا
فصرنا نتسول في البلاد وبعد مدة قصيرة توفت والدتي كمدام تلك الميشة
الدينثة وحزنا على الايام الغابرة السعيدة

وفي سنة ١٣٩٩ هـ وب امير المؤمنين المغفور له المتوكل هذه الجهة لسيدي
الامير بابكيال فخطط داره هذه المشورة وشرع في بنائها ولوجودي
بتلك الجهة تداخلت مع طائفة المعمارية واشتغلت معها في مشال اترية ورص
احجار وخلافه حتي تم البناء واتي الامير بابكيال بمائته واستوطن بها بوجوده
انقلبت تلك الجهة معمورة بعد الحراب والدمار

ثم ولكوني متعرقا بأحد المزارعين توسطي دخولي ضمن أسرة الامير
حيث كنت تعلمت فن الزراعة وصار لي المام تام بها ومكثت مشتغلا
بشؤون الحديقة متخذاً هذه الدار مـ ككتا لي لانها سلواني الوحيد وأثر

اجدادى العزيز

تلك آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار
فمجب الامير برقوق والمجوز من تلك الحكاية الغريبة وهذا التاريخ
المعجب والتفتت المجوز نحو الامير قائلة ابشر ياسيدى فتجملك دائما فى
صمود حيث ان الصدف عرفتنا بهذا لرجل الذي سيكون مساعدنا الوحيد
فى اشغالنا وربما يكون اخذ ثار والديه مقرونا بمعلمنا المسمود... فلا
زالت الايام مسمودة بمررة وجهك و

صباحك السعادة كل يوم بارغام على انف المسمود
وزادك ربك المولى جلالا فتجمل علاك دوما فى صمود
فاتهج الجنائى من سماعه لفظه (ثار) ورقصت شواربه طربا واستار
وجهه فرحا ولم يمالك نفسه عن الاستهزام فقل لها سيدتى بالله كيف يكون
الاخذ بالثار وقد توفي هدى طولون نسل الاشرار ؟

فضحكت المجوز باستهزاء وقالت بعد ان غمزت الامير برقوق ان
لم يكن من طولون فمن نجله المنهبون...

فاتصب الجنائى ملهوبا واتى نفسه على اقدام المجوز يقبلها وهو
يخاطبها بصوت منقطع من شدة القرح والسرور قائلا : كيف اتال
ذلك... اهل البلع الارب... واظنى ما بقاى من الحب.....

فأجابته المجوز بعد ان جمعت قدميها بمظلة وكبرياء تمهل يا صاح فسوف
تزول هاته الاتراح واصبر والايام بيننا ومن يمش رجبا يرى عجا

وبعد ان تأملت برهة وجيزة قالت اما تعلم ان السبب فى وجودنا بدارك
هو الوقمة بابن طولون فى فخ المكائد فسألقيه فى الهلاك واريه من

الارتباكات مالا عين نظرتة واذن سمعته واحمد لله الذي جعلك من أعدائه
لتساعدنا على هلاكه فادع المولى لينجح مقاصدنا وتعال مكانتنا

من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ النقيض

فصاح الجنائبي قائلا . لا اريد مكافأة ولا اتمنا . فكافاني بل ويوم الهنا
والصفا عدى هو يوم ارى فيه احمد بن طولون مقطوع الراس خامد الانفاس
فأمرني الآن بماتة تينه والزمني بما تريدني فأريتك من افعالي العجب
لانه مما تغيرت الازمنة وتقلب الاحوال فاني ما زلت من نسل سفاكي
الدماء لصا وابن اصر

كل امرئ راجع يوما لشيئته وان تخلق اخلاقا الى حين

فتبسم الامير برقوق من هذه المحاوره ونظر الى المعجوز قائلا .
الوقت اذف يا أماء فيها عجلي بما تريه مفيدا ومزيلا لما أنا فيه من
البال واشغال البال . فان الشجون لها في فوادي أدوار وفنون

— اني لا أريد الآن شيئا ما وغدا سيكون الابتداء في العمل فيها بنا
الآن وقامت وأخذت بيد الامير وسارا قاصدين دار الادير بابكيال

وفي اثناء الطريق سأها الامير عما جرى لمعشوقته وحدث من اسرها
فأجابته ان تأثير السحر ومفعوله لا يظهر الا بعد جولة ايام وبعدها
تنظر ما يسر خاطرك ويرتاح له فؤادك حيث ترى محبوبتك انقلب
من دور النفور والبعاد الى دور التقرب والودد ويسكن حبك في
قلبها ويتمكن غرامك من فؤادها فلا تريد من الرجال سواك ولا
تشتاق الا لرؤياك بل ويصدق من قال

ظل من فرط حبه مملوكا ولقد كان قبل ذلك مليكا

انما غرضي الوحيد ايها الامير هو ان تنصب لابن طولون شرك
المكائد حتى نوقمه لانه قد ظهر لي من علم الجفر ان السيدة جول
تجبه حبا لامزيد عليه واضل ان هذا هو السبب لرفض والدها زواجك...
فاسمع ذلك الامير برقوق حتى اصطكت اسنانه واصفر لونه
وغارت عيناه وانقلب سحنته وغاب رشده وصار يتلفظ بحروف
متقطعة اغلها حرف (ط) وذلك من شدة القيق الذي فاجاه بسبب
القواعل المشقية التي هيبتها المعجوز الساحرة الماسكرة ومن
غلاظ قلب الملعونة ما حصل لها ادني تأثير من هذا المنظر المزعج بل
أمرت الجنائي بسكينة وثبات ان يتدارك سيده ويحفظه من السقوط

فاحتضنه هذا بقلب يخفق وجلا وفرائص ترتعد جزعا ولولا ذلك
لسقط الامير على الارض من شدة فشيانه وعظم اندهاله وكانت
المعجوز قد أخرجت من جيبها زجاجة صغيرة وأفرغت منها بضعة
قطرات على منديل وطرحته على وجه الامير فانتفض كالطير المبلول
وأفاق من دهشته صائحاً... ابن طولون... ابن طولون...
سأقتله... سأذبحه... آه... أين هو... آواه تجبه... السيد جول
تمسقه بالله ما أخطأ أبو فراس الحمداني حين قال

فأيتت ان لا عز بمدى لما شق وان يدنى مما علق به صغر
فتندمت المعجوز لما تمخه الحديث واطلاعه على هذا الخبر خصوصاً
وقد كانوا في نقطة مطروقة ولكنها تنكرت قليلاً فما وجدت طريقه
للتخلص من الورطة الخيفة الا الرجوع الى دار الجنائي وهناك يمكنها
ان تزيل هو اجس الامير وتصرف عنه هذا الاندهال الذي أحدثته

والدهشة التي اختبأ بها وسوست به في صدره
فأشارت على الجانبين بالرجوع وأوصته ان يسند الامير ويساعده
على المسير وبهذه الصورة ارتدوا راجعين حتى وصلوا بالقرب من
الدار وأجلسوا الامير على صخرة صغيرة أشبه بمقعد
وبعد ان خيم السكون برهة غير يسيرة كان فيها الامير مطرق
الرأس متزعج الحواس يحاول ان يجمع أفكاره الشاردة فلا يتسنى له
ذلك من شدة ما اعتراه

ولما رأت الدجوز ان الليل قد دهمهم والامير على حاله هزته
بنف وطفقت تحذره بحدة قائلة ما هذا الانذهال وما هاته الدهشة
لقد سكنت أيها الامير ان تلبسنا ثوب الافتضاح ... أبطل هذه
البرعونة ترجو ان تبلغ الارب ... كلا ثم كلا وما على الا ان
أتركك وشأنك لئلا يافمالك هذه تكون السبب في ضياعي

فتنبه الامير واستأففته الفاضل المريمة ورفع رأسه بعد ان ازاح عن
عينيه الغياض المظلمة واجابها بصوت لا يخرج خالصا لارتباط لسانه
عفا يا أماء فان ما حصل كان رغما عن الانف وعدى ما صدر
هفوة لا تعود

قال ذلك وقام يقبل رأس المجوز ليسترضيها ويزيل ما عندها
من الغضب ولكنها نزعت نفسها منه بقوة وما فعلت ذلك
الا لشجيمه

فجنى الامير ثانيا على ركبته وأخذ يستعطف خاطرها وغير
موضوع الحديث قائلا : بالله اخبريني أيها السيدة كيف كان تعلق

السيدة جول بابن طولون وكيف تجاسر هذا النبي على ارتباط الحبة
بها... أهل يؤمل أن ينال منها أصرا يكون عقبة في سبيل وصولي إليها
ودون ذلك خرط الفتاد

— لا تستخفف بالرجال أيها الأمير

قال لي من الزمان حبالي ••• ثلاث يلدن عجيبة

أما تهـ لم أن الانسان ما خلق الا على طمع ولولا الامل ما عاش
أحد قط على وجه البسيطة

أغل النفس بالآمال أرقبها ما ضيق العيش لولا فسحة لامل

— يا لاجب كيف يظن نفسه هذا النبي بخيوط من المنكبوت وباهل تربي
ما السبب في تلك الملافة مع كونه أخط من أيها بدرجات

— حقيقة أنك جاهل أيها الأمير أما تهـ للآن أن الأمير ياركورج
مهم ابن طولون

— حينئذ يمكنه الافتقار إليها (.....)

نعم يمكنه وأظن فكر الأمير ياركورج موجه لذلك فقط منتظر ترقية
— الآ زبنت عندي جميع أمتالك وما ردني الأمير ياركورج الا لهذا الفرض
السيء المتجاشقائي والسبب لا تلافى

فاذا كان الامر كذلك فلماذا هذا العناء وتجشم تلك الاعمال المتعبة
الا وفق قتل ابن طولون لعموت السيدة جول كذا وحسرة ولكي
بمدها أندب سوء حظي وأنقرغ لمستقبلي التمهيس قال ذلك والتجاء
يكاد يخنقه والغيرة تكاد أن تنزق أحشاءه وأمعاءه

فاهمت العجوز منه بريق الحسد والغيرة وقالت لكي تقف

مصاحبه وتسكن آلامه : ولست در حصول ذلك بل ولكي ثبات المراد
بأمان وأطمئنان أليث على نفسي أن أساعدك بأسعاري وأدبرك بأفكاري
ولكن باللاسف رأيك عجولا ووجدتك غير صبور

إذا عزمت على حاجة فشاور كبيرا ولا تمصه
الامر أمرك بأمام فافعلي ما تريدته لانك طالما كاخفت الدهر
في زمانك واختبرت الايام بأفكارك
إذا تجلدوا اتخذ الصبر درعاً لك يقيك مما تخشاه حتى تري من افعلي ما لا يتصوره العقل
كيف اصبر بعد هذا وهل أقدر ان أتمالك نفسي لو وقع نظري
على شخص احمد بن طولون ؟

نعم يمكنك لو كنت رجلاً حليها صبوراً أما سمعت القائل
انا صبرنا فلنا جل بنيتنا والدهر بالطبع مغلوب لمن صبرا
حقيقة بالصبر يبلغ الانسان ما يريد اذا هيا بنا الى الدار فلقد امسى
الوقت وكوني على ثقة اني ألقيت زماني بين يديك فافعلي ما ترغيبه
ودبري ما تشتهين قال ذلك وقاما قاصدين دار الامير بابكيال .
ليس للانسان الا ما قضى الله وقدر
ليس للمخلوق تدبير بل الله المديبر



﴿ الفصل الرابع ﴾

- رب غم يدب تحت سرور -

واني رأيت الدهر منذ صبحته خاسنه مقرونة وممائه
اذا سرفني في اول الامر لم ازل علي حذر من ان تندم مواقبه

رب ممرض اولاً ثم يمرض على فتاة روايتنا السيدة (جول) لتعلقها
 بحب احمد بن طولون او يلومها لكونها فتاة شرقية جالت في ميدان
 المشق وتوغلت في اودية الغرام وانتادت لوازع النوق وسجدت أمام
 هكل الحب وانتظمت في سالك أسرى الوجد وانصاعت لاحكام الشوق
 وتوسلت وسائد الاستئثار لمن تحب على الامل والدار . ولم يعلم
 اللأم الا ان سلطان الحب اقوى واغلب من كل سلطان خشن
 الطباع تقوى وتغلب أو أنها لم تحرز فضيلة انتحري على من احبت
 ولسطرات محبته خضعت ورضخت فتجيبه بأن لا لوم عليها ولا تثریب
 فانها فتاة شبت على منهج الاستقامة والكمال وترتبت في حجور المغاف
 والجلال ولكن شأن كفاح الزمن مقاومة الجمال للجمال بسهام الاحاظ
 وفنكات البال فكان ذلك منها اضطرارا لا اختيارا واظهارا لفضل محبوبها
 واكبارا . سيما وأنها مع ما أعطاها خالقها من الحسن والجمال فريدة
 عصرها وآية من آيات زمانها كان قد قال فيها بعض واصفيها

واحسن منك لم ترقط عيني واجل منك لم تلد النساء
 خلقت مبداً من كل عيب تأذك قد خلقت كما تشاء

وفي الحقيقة كانت كتمثال من الجوهر مزين بحلى الكمال والدلال بمشوقة
 القائمة لينة الماطف محمرة الخدين مكحلة العينين ذات مبسم لطيف وقد
 رشيقي والحاظ لو ابصرت انسانا تقول له كن مغرماً فيكون

تبدت كبدك اتم في ليلة السعد	منعمة الاطراف بمشوقة القد
لهامقة تسبي العذول بسحرها	وتفرحكي الياقوت في حمرة الورد
تحدرفوق الردف اسود شعرها	فاياك اياك الجباب من الجمعد

لقد رقت الاعطاف منها قلبها على صبا اقصى من الحجر الصلد
وترسل همم الحظ من قوس حاجب يصيب ولم يخطئ ولو كان من بعد
فيا حسنها تدفق كل ملاحه وليس لها بين البرية من ند
وفضلا عن تلك الطلعة البهية وهذه الصورة الحسنة النقية قد تهذبت
بالمعارف وتعلمت من المعلوم ما زادها أدبا ولطفا وعقلا وظرفا
نعم وان كانت وهبت قلبها لابن طولون ورهنت قوادها في محبة
ولكن كان جها نقيا طاهرا ساقته التماذير اليها فقبته بجاذب طيب
لا فرار منه ولا مناص عن طاعته

ليس خطب الهوى بخطب يسير لا يذنبك عنه مثل خبير
ليس امر الهوى يدبر بالرأي ولا بالقياس والتفكير
انما الامر في الهوى خطوات محدثات الامور بمد الامور
حيث ترى معها ابن طولون من العسر وتعلقا ببعضهما شغفا فلما زاد
منهما وتغوت الاعصاب ونمي الجسم كان انمشق ملازمهما في النمو
والحب بينهما في ازدياد حتي تمكن منهما الوداد وتآلفت قلوبهما على الغرام
فاذا تألفت القلوب على الهوى فالناس تضرب في حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد فهو المراد فوش بذلك الواحد
وكانا يتهزان الفرص ويشافلان الرقباء فيتقابلان خفية ويتشاكيان من الم الجوى
وطول البعاد متضرعين الى المولى عز وجل في تعجيل اقترانهما ولم شملهما
حتي كانت الالة تمضي بينهما بكل عفة وطهارة

فه وقفه عاشقين تلاقيا من بعد طول نوي وبعد مزار
يتماطيان من الغرام مدامة زادتها بعدا من الاوزار

صداقاً فلم يزل طرف الى فحش ولا كف لحال ازار
فتلاقيا وتفرقا وكلاهما لم يخش مطمن غائب اوزاري
ولكن غدرهم الزمان ودار بهما دولاب الدهر حيث تسلطت عليهما
اناس لا ترحمه وقلوب لا تشفق فتشتت جمعهم ما وتفرق شملهما
حيث رحل ابن طولون الى قلعة علاء الدين التي تبعد عن المدينة بمسافة
طويلة واصاب السيدة جول سحر تلك المعجوز الذي خبل عقلها واحزن
أحبائها وجعلها عبرة بين اترابها بل جعلها اصبحت بمد ذلك الجمال
ورشاقة القد وحسن الاعتدال في حالة يرثي لها وتبدل احمرار
وجتيتها باصفرار وبهاء جبينها بذهول يحزن القلوب ويفتت الاكباد
فله ضر القوم الغادرين والاشيرار الخائنين وذلك ان السيدة جول
حينما كانت تستمد لمقابلة محبوبها ابن طولون بانسراح وتجهزت لملاقاته
بكل سرور وقد ارسلت تلك الرقعة المار ذكرها في اوائل الفصل الثاني
لينظرها حسب المادة فتطفي ما بقاياها من لب الغرام واذا بيد لكرمها بفتة
والقها على الارض فاقدة الخواص خائرة المزاج ثم انتشلتها بقوة فوق
المادة فارتبط لسانها وتبلبل عقلها وضاع رشدها وظلت تشخص حركات
جنونية وتصيح بصرخات متوالية مزعجة حتى اقلقت من بالدار وحضر
والدها فأسكنها بمد كل جهد والقها على فراش آلامها حتى استقرت
في النعاس كما أسلفنا

ولما اصبح الصباح واضاً بنوره الوضاح قامت السيدة جول من
نومها مذعورة فوجدت نفسها على سريرها بدون انتظام وثيابها
ممزقة وشعرها محلول والتفت بالحاظها اللطيفة نحو المقعد فنظرت والديها

جالسين يسكون وعلى وجهيهما دلائل الحزن وامارات الكآبة
فاحدقت عيناهما وتقرست في طلعتيها المبكية وشمرت من حالتها
ان هذه الالة مامضت الا بكل مسمومة وتذكرت ما فاجأها من
سيطرة وهم ان كسبها نصيبا بخيل أضاع رشدها وتصورت ما كانت
فيه من التخييلات فكاد اندمغ ان يفجر من مقتلها دما وبصكت
بأنين ممزوج بزفرات تصاعد حسرة على ماء انبعاثها وحزنا على حالتها
التعيسة

فلما أحست والدتها بحركتها الخفيفة وسامت أنينها المتقطع من
البكاء هبت من دهشتها وألقت بنفسها على صدر ابنتها وفلذة كبدها
وصارت تقبها بلهفة عجيبة وتضمها بحنانة غريبة ودموعها مندفقة
كالسيل على وجنات ابنتها المغمورة أيضا بالدموع وحينئذ امتزج الدمعان
وعلا الضجيجان

هنا يقف القلم متحيرا ويمجز اليراع عن وصف ذلك المنظر المبكى
بل المفتت للاكباد والمؤلّم لالقلوب وقد قام الامير ياركورج والحزن
يكاد ان يقرسه وتداخل بينهما وفرقهما عن بعض واجلهما بمد ان
اسكتهما عن البكاء والعيول واخذ يسأل ابنته عن صحتها مستفهما عن
كيفية هذا المصاب العظيم

فأجابته والتم ملائمتها انها لا تمي كيف كانت حالتها وغاية ما
هناك استثمرت مبدئيا بأيد لبت بها كالكرة ولحت اشخاصا بوجوه
مغبرة بالسواد وعيون مقاربة يسطع منها شرر ودخان .. وأخيرا غبت
عن الوجود جزعا وخوفا... قالت ذلك وغطت وجهها يديها لملافاة

هذه الحالة المائلة التي كانت لا تزال تدعرها
فأطرق الأمير يار كورج رأسه غائصا في بحار التأملات ثم رفعها
قائلا لحرمه أظن ان هذا المارض من الجان قريب الزوال فاطمئني
وطبى خاطر بنتيك حق أجمع الاطباء واستحضر العلماء فينظروا
حالتها ويفتوني في أمرها

ولابد من شكوى الى ذى سرورة يواسيك أو يسليك أو يتوجع
قال ذلك وخرج من الغرفة قاصدا قاعة استقبال الرجال ولما
وصلها جالس امام مكتبته وحرر عدة تذاكر لبعض اطباء وجهله علماء
وظل يتنظرهم معفرا بشبكة والفيظ ملا عينيه
وبعد برهة من الزمن وفدت عليه الاطباء والعلماء حتى استكمل
عدددهم وانتظم مجلسهم ففاتحهم الأمير بالحديث واخذ يقص عليهم
حادثة ابنته المشؤمة

فبهت الجمع متعجبا وأخذوا يتبادلون الالفاظ بحيرة واستغراب
ولما لهم الأمير على تلك الحيرة شعر بوطأة شديدة كادت تذهب
بعقله يأسا وقنوطا

ورفع هامته لينكلم واذا بشيخ جليل القدر من العلماء اتصب على
قدميه تحفه المهابة والوقار وقال بعد ان حمد المولى سبحانه وتعالى
واثنى على نبيه عليه افضل الصلاة وازكى السلام

اعلموا ايها الاخوان والسادة الكرام وفقني واياكم رب الارباب الي
طريق الخير والصواب انى باعترى هذه السيدة هو تأثير اسعار وتخيلات
من الجان رمتها بها ايادي الاشرار لغرض من الاغراض ثم حول نظره

لبعض الاطباء قائلا . وامل حضراتكم تستقربون لهذا الحادث وربما
لاتصدقون لعدم ورود شيء من هذا القيل في فنكم فأظهمه لكم لأن
لتروه بالبيان وتحققون من وجود جان

وبعد ما فاه بما تقدم استأذن الامير يار كورج ليعرض عليهم المريضة
حتى يتسنى لكل منهم ان يبدي رأيه ويبحث افكاره فلي طلبه الامير
وقام ووراءه الجميع قاصدين مقاصير الحرم

ولما وصلوا المقصورة وجلسوا في صالة من داخلها حجرة السيدة جبول
استدعاهما احد الاطباء وكان اكبرهم سنا واغزرهم علما

فوقفت السيدة جبول بالقرب من باب حجرتها بفرائص ترتد
خجلا ملتفة برداء من الحرير الابيض يظهر من رسمه نقاط طبع وبجها
الحلى بالاصفر ارفقال لها الطيب

اكتفى لنا أيتها السيدة عن كنهه عليك واخبرتنا عن مرضك بدون
ان يمنحك الحجل عن كنهان شيء

فاجابته السيدة جبول بصوت مرتعش عن كيفية غشايتها وعن التغيرات
الهائلة المزعجة

فتعمرس الطيب مليا في طاعتها وتمعن سحنها بدقة وبمدها امرها
بالاحتجاب ثم التفت الي رفقائه وقال ان كلام الاستاذ لا ريب فيه لان
ملاحظها وجسمها لا يقبلان داء الصرع ولا التشنجات العصبية فنتترك امر
معالجتها وازالة تلك الجاللة عنها لحضرة الاستاذ لان ما رآه هو عين الحقيقة

قال ذلك وقام برفقائه بعد ان ودعوا الاستاذ والامير يار كورج
ولما خلى المكان التفت الاستاذ نحو الامير قائلا . لا يتسنى لي معرفة

حالتها قسما الا اذا اعتزتها النوبة

— لقد نطقت بالصواب أيها العالم قاصدا برهة وجيزة

— هل النوبة تفاجؤها بما د

— نعم يمينا د ولكنه يختلف أحيانا

— اذا فلتسمع لي انا كون بالقرب منها لا لاحظ كيفية الصرع

— لك ذلك أيها المبجل

قال ذلك وتركه قاصدا ديوان الرجال لاستقباله اصدقائه الذين
حضروا التزيت فيما فوجيء به ويشاركوه في مصابه ويوازره في هذه
الشدّة التي غيت رشده

ولما اتفرد الاستاذ بنفسه فتح محفظة وابرز منها كتابا صغير الحجم
واخذ يقاب في صفحاته متطلعا لما يخص الموضوع وفيما هو غارق في بحار
البحث والتنقيب لما يشمر الا بصرخة اتبعها ضجيج ووقع اقدام مع
نحيب وانين يفتت الصخر ويذيب الجاد

فحسب الاستاذ وحوفل وعلم ان النوبة اغترت السيدة جول وفيما
هو يستعبد من الشيطان الرجيم ويلو اسم الله العظيم واذا بأحد الحصيان
تقرب منه قائلا . اجرنا ايها الاستاذ فلقد دهمنا المصاب

فأجاب الاستاذ ادركني ايها السلام بطاس من نحاس او كاس من زجاج قال
ذلك وولج بسرعة داخل غرفة المريضة فأنز من منظرها البشع
ورثي لحينتها الشنيعة وتقدم بضع خطوات من سريرها
التي كانت مطروحة عليه بغير انتظام وكان الخادم احضر الكأس مملوءة
بالماء حسب طلبة فتناولها الشيخ واخذ يلو على ما بها من الماء حتي

صيره يغور من شدة الغليان وبسدها صب جزء منه على وجهها واليباق
على اطرافها فهبت السيدة مذعورة وأخذت تهذي كن هب منتشلا
من حفرة نار أو بحر عميق

وبعد بضع ثوان قامت متعصبة وأفاقت تماما ونظرت لحالتها بكآبة
وأطلقت لعينها عنان البكاء والوقت تقبها على مقعد وتذكرت ماضيها
ورفاة الايام الغابرة التي امضتها بصفاء وهناء وراحة بال فناجت ربهما
بقلب خالص وجسم طاهر قائمه

رفقا بي يا الهى ... فلة قد كفى ما حل بي من الالهوال بلا
ذنب جنيته ... او هيب أتيت ... فارحمي يارحم ... واغثي برحمتك
يا مولاي ... انك القادر المالك ... تقول لأشئ ... كن فيكون بأذلك
ياحي ياقيوم

إذا ابتليت فثق بالله وارض به ان الذى يكشف البلى هو الله
ولما بصر الأستاذ حالتها وسمع شكواها وتألما قال لها مهلا ايها
المصونة وصبرا على غوائل الزمان وبوائق الايام فسوف تنقشع تلك
الهموم وتزول تلك الالهوال وما من عسر الا رد ييسر وما من كربة
الا واسها فرج

لا تجزعن ان مضت للخطب ايام فربما ساعدت للسعد اعوام
وان تعرض عسرا فتظفر فرجا صروف الليالى هما يؤس وانعام
فتهدت السيدة جول من قلب عجروح وفؤاد مكوم وشكرته بصوت متقطع
من البكاء وقالت ارجوك ايها الأستاذ الفاضل ان لا تنفر عن ملاحظتي
ولا تتركني طرفة عين فدل. وعسى ان تكون ازالة ما بي من الآلام

على يدك ايها المصطفى
هذا جل ما اتمناه فكوثي مطمئنة الخاطر مرتاحة الضمير وها أنا قاصد
أباك لأبشركه بسرعة زوال المارض ونجاح عمالتنا الإلهية وثقني اني رهن
الإشارة عند الزوم

قال ذلك وخرج من الغرفة وأمامه احمد الحصيان الي ان وصل
قاعة الرجال فلمع الامير ياركورج منكس الرأس كاسف البال غائصا
في بحار التأملات تتلاطمه ليج الأفكار

وبدخول الاستاذ استيقظ من سباته وقد قام الحاضرون تمظيما لهيبته
حتى جالس بجانب الامير وهمس في أذنه قائلا... ابشركها الامير فنقد
اعتزتها الذببة ولكن ما مضت بضعة دقائق حتى انصرف عنها اعراضها
وبذلك تتوهم فلاح الدمل ونجاح الارب من شفاء السيدة البريع
ان شاء الله

— وهل تماودها بعد ايها الاستاذ ؟
نعم لاني لا اضمن تمام الشفاء الا بعد عشرة أيام على الأقل وانما
عليك ان تتردى برداء الصبر وتزيج عن فكرك مملوهم مسلم به استيقظت
لصحتك وتشجيم لا سرتك الكريمة

— والآن ماذا تريد ان تفعل ايها الفاضل
— سأذهب الي داري لأستحضر بعض كتب لازمة لعمالتنا
— اذا كان كذلك فالرجاء سرعة العودة

— ان شاء الله... قال ذلك وخرج يتأبط محفظته ويتوكل على عصاه وقد قام
الامير ياركورج قاصدا قصر الخليفة حيث استدعاه جلالة اليه

وما كان هذا الذين مني بخطري ولكن قضاء الله لدمره غالب
بعد نزول الشيخ من حضرة السيدة جول جال في خاطرها حبيبها الابير احمد
ابن طولون وتذكرت موعد المقابلة الذي عاقها عنه مصابها الاليم فاهزت
هياما لرؤيته ورقصت جوارحها شرقا وغربا ووبخت ضميرها حيث تركته في
الانتظار وما انبأته بواقعة الحال فبالرغم من اتمانية من الارصاب وتجبرعه من مر
الآلام والاحزان صعب ذلك عاينها وماهان لديها ان تجرعه كؤوس الحبران
وتجمله هدفًا للظنون والافكار وهمت في الحال قاصدة الى مخدعها لداخلي وجلست
اهام مكتبتها وتناولت قلمًا وقرنًا ساو خطت بانامها الجوهرية الشئ محروقة مامعتاه
أحبابنا ان غبت عنكم وكان لي الي غير مفناكم براح والماس
فما من رضا كانت سايحي بديلة بابلي ولكن للضرورة احكام
حبيبي وقرة عيني ومهجة قلبي

يسوؤني ان احيط عليك بأمرسي وما وصلت اليه يامن انتثر عقد نظامي معه
وصاح غراب الين على جمع شملنا فصدعه فذكرت اظن ان الايام لا تزل
لنا باسمه وورايح المرات بنبادي جمة ناسمه قادانا مكلفة الايام ضد طباعها
ومتشبهة منها بخلاف أوضاعها لتوقع السرور عقب الجبور وتناول من
الآمال اكؤوس الصفو الدائم والوفاء المتلازم ولم امثل أمام نظر البصيرة
قضية الزمن ومصيره بل لم اذكر ان الشئ يعقبه ضده والانسان يخاف
وعده بمامل القضاء وصوارف القدر وفواعل الشقاء المترضة لبني البشر
ومكلف الايام ضد طباعها متطاب في الماء جذوة نار

كيف لا وما حان الوقت المحدد لزيارتك وهممت يبعث
الشوق لمشاهدتك حتي أصابني ما ألجائي الى التأخير وفاجأني ماعاقي

عن السير ودمعت بأعظم مصاب ولبت بمذاب وأى عذاب حيث
شعرت بيد الكميتي فقيمتني عن الوجود وصيرتني في حالة يرثي لها
بل وعقل مذقود

وبت على حر نار الفضي أسامر همي وأفنى دموعي
وما أفقت من غيبوتي وثبتت من دهشتي إلا عند شروق
الشمس وتذكرت ما حل بي في الأس... ولا تسل يا عزيزي عما
اعتراني في هذه اللحظة وما احتاط بي من الهم والغم في تلك البرهة
خصوصا حينما وقع نظري على وجه والدي المكفهر بالاصفرار وعلى
دموع والدي المتدفقة كالغيت المندار

فلو أن مابي بالخصا فلق الخصا وبالصخرة الصماء لاتصدع الصخر
ولو أن مابي بالوحوش لما رعت ولا ساعها ماء النعير ولا الزهر
ولو أن مابي بالبحار لما جرسى بامواجها بحر إذا زخر بحر
وبعد مناوراة الاحزان والاكدار استحضرت لي والدي شيخا جليلا من
ذوى الاقدار فنظر في أمري وأحسكم الثراسة وساس عذابي بألم
كياسة حتى توسمت خيرا في تطييبه واستبقاء لما ينتج لتاء الحب
لجديه وأمل وعسى أن يكون علي يديه شفائي ويزول عني همي وعنائى
حقق الله الاماني والآمال وهذا ماتم قدم سعيدا علي كل حال
(ابنة الم جول)

ولما فرغت من كتابته طوته بتدليل من الحرير بعد ان وضعت
داخل غلاف بمح الاطراف وخرجت الى الصالون لتبحث عن مربيها
المخاض لؤلؤ وبالمصادفة وجدته به فتادته وانزوت به الى جانب من

زوايا المحل وناولته التحرير قللة له : تعلم ايها الامين الصادق وعدنا
للأمير ابن طولون بالمة بلة وهذه الحادثة المشؤمة التي دسنا فثبب منها
تركه علي منصة الانتظار ولتقي بصداقتك وعلمي بمحبتك المفرطة للأمير
قد حررت له بواقعة الحال بأمل ان توصلها اليه فيكون علي بصيرة تامة
ويزول عنه انشغال البال وتزايد البلبال ويعلم من أمرى ما يوقفه علي خالص
مذري دولا يذهب منك ان حال المتعابين تستدعي مطاردة سواد الجنوة
بنبال الاخلاص في نوال الحظوة ولا بد وان يكون كلا الميدين واقفا علي
كده أحوال حبيبه

فأخفي الخادم رأسه علامة الرضاء والقبول وقال بخنوع ووقار هذا
جل ما كنت أتمناه وخرج من اماءها وهو طافح بالسرور يكاد ان يطير فرحاً
واشتيافا لرؤية الأمير ابن طولون لانه كان رباب منذ المهد مع سيدته
وصار يقطع الطريق بخطوات جواده

اذا رسات في أمر رسولاً فقهه وأرسله حبيباً
ولا تترك وصينه بشيء وان هو كان دافعاً أدبياً
فانضيت دلك فلاتامه علي ان لم يكن علم القيويا

✻ الفصل الخامس ✻

﴿ وفي الماضي لمن بقي اعتبار ﴾

نبه فؤادك فالجياة غرور والموت حق والقضا مقدور

انا على سفر بها وترحل ومصيرنا بمد القصور قبور
 في منتصف مدينة بغداد يري الناظر قصرا شامخ البناء يكاد يمس السحاب
 من عظم ارتفاعه وهو فيح الارحاء منتظم الوضع يحتوي على ثلاث
 طبقات في كل طبقة ما ينوف عن الخمسين غرفة جميعها مزينة بافخر
 الاثاث فضلا عن ستوفها وجدرانها المحلاة بأبهج الدهانات ومنقوشة
 بالذهب الوهاج وله في وسط كل وجهة من وجهاته الاربع باب عظيم يدهش
 النظر ويبلبل الافكار لضخامته وانما هندسته وجودة الواحه المصنوعة
 من شجر الجوز ومطعمة بخشب الالبس وقد موهت بالفضة البيضاء
 كل ذلك مرتب على اشكال غريبة ورسومات عجيبه يحار البص
 انكتاب في وصفها

بنا يخاف الدهر منه وكل ما على ظاهر الدنيا يخاف من الدهر
 ويرى الداخل من بابه الواقع بالجهة الشمالية حديقة فيحاء وروضة غناء جمعت
 من شتات الاشجار والرياحين ما صيرها بهجة للناظرين ونزهة للوافدين
 وفي كل زاوية من زواياها فسقية من المرمر الشفاف محتاطة ببعض التماثيل
 البديعة من طيور ووحوش غريبة وفي وسط تلك الحديقة ككشك
 حسن الوضع سميك الصنع ثمين الممدات مزخرف الجهات بأبدع ما
 يكون من النقوش

تميل به الاغصان أنا وبهجة وتشدو به ورق الجبور فطرب
 زهور وأطيار وما وخضرة مناظر حسن للنواظر تعجب
 وقصارى القول ان هذا القصر كان لا يمثاله نظير في ذلك الزمان
 كيف لا وهو مسكن ملوك بني العباس الذين أقاموا على كرسي

الخلافة الاسلامية (٥٢٥) سنة حكم في اثنتيها سبع وثلاثون خليفة
اولهم عبد الله الملقب بالسفاح الذي يمكن سلطته وقوى شوكته
بتدمير دولة الامويين وصير الخلافة للمبشرين

وكان عصر هذه الدولة من اعظم اعصر الشرف والرفعة حيث
الاسلام بلغ فيه ارفع اندرجات من حيث الصناعة والتجارة والفتوحات
المظيمة التي جعلت الامة المحمدية في بحبوحة من الثروة وأحرزت
مكانة سامية ومهرانا عظيما حتي اهابها معاصروها واغلبها احباؤها
وحدها اعداؤها ولكن من الاسف لم تلبث شوكة المملكة مدة
يسيرة الا وافل نجم سمودها واخذت في الانحطاط من عهد عاشر
خلفائها المتوكل على الله الذي كانت المملكة من اول خلافته فوضى لا يعرف
لها رئيس لان الممالك الذين كان ادخالهم والده المتعصم بالله قد كثروا
في مدينة بغداد وقويت سلطتهم وصار يدهم زمام الحال والعقد مع
عدم فطانتهم وذكائهم حتى بلغت الاحكام من سوء النظام الفانية
المقصوى والله در القائل

تهدي الامور باهل الرأي ماصاحوا وان تولوا فبالاشرار تنقاد
لا يصلح الناس فوضى لا مراقبهم ولا سراة اذا جهلهم سادوا
فكنت تراهم يقتلون ويذلون ويولون من شائهم العمال حسب رغبتهم
المعوجة وفكرتهم السفينة حتى لم يبق للخليفة في مسدتهم من السلطان
والحكم الا مجرد الخطبة والاسم واستمر الحال علي هذا المنوال حتى
وقعت الفاسد وعمت الفتن وكثرت المشاكل وازدادت المحن
وقد منعت تلك الدولة وقل نفوذها بعد ذلك المز والافتقار والاجلال

والفخار حتى لم يبق لها من الولايات والاقاليم سوى بغداد
وطرافها وستولى عمالها على اكثر اقطارها ومعظم ولائها شقوا عصا
الطاعة واستأثروا بالملك واختصوا بالاحكام بطريق التمدي والمدون

فالمسي سيف الدولة تغاب على ولاية حلب وما يتبها من البلدان
والمقب بابل وباطاب تغاب على اليمن وابن ابويه استولى على بلاد فارس
والقراطة تسلطوا على البحرين واهمد بن طولون الذي هو بطل روايتنا
استقل بالديار المصرية وتغاب على جزء من الديار الشامية كما سنسره
لقراء انصبا لاوتيينه تبينا

هذا مع وجود دولتين اخريين تدعيان الحق في الخلافة وهما الدولة
الروانية بالاندلس (١) والدولة الفاطمية بالغرب فكانت هاتان الدولتان

(١) اتى لمت بها الياي الاورباوية وتداخات فيها الاجانب حاملة
لواء التمدن والحريه مظهرة الاصلاح وانفلاح وبثوا بين امرائها
جرثومة القتن وزرعوا لهم بذور الفساد حتى اوقعوهم في بعضهم البعض
وقامت الحروب بينهم ففنى معظمهم ونشرد باقوهم وبذلك الدهاء العجيب
والمكر الغريب تسنى لهم الاستيلاء على تلك المملكة البهية وهاتيك
الاقطار الجميلة الثنية وبعد ما كانت عربية اسلامية صارت افرنكية مسيحية
الا وهي ملكة (اسبانيا) الآن

فأجني بالله عليك ايها "قاري" اى فؤاد لا يتصدع واى قلب
لا يتقطع واى كبد لا تنفتت واى مهجة لا تذوب بل واى عيون
لا تذرف دموع الدمع دما كندا وحزنا ونأسما وتحسرا على تلك الديار
العربية وما نالها من تصرف اعدائها بها بواسطة منافقيها الذين

تنازعنا في الامامة الدينية والامارات المذكورة تنازعنا في السطة
الادارية التي ضاعت وفقدت من الخلفاء حتى في مدينة بغداد عاصمة
ملكهم ومقر كرسيمهم

لان المستعصم بالله آخر خالفها بالعراق كان له وزير رضى ...
يود زوال الملك وضياع الخلافة من بنى العباس فصار يكاتب زعيم التتار
المدعو (هلاكوخان) ويحسن له التملك ويطمعه في ملك مدينة بغداد
سهلا لا ابادة هذه الدولة من عالم الوجود

فقطع المذكور بعد ان استوثق بكلام الوزير الملعون وحضر ومعه

يضمرون السوء ويظهرون السرّة والخبور

ولكن يا اللاف ويا للندم مع علمنا بقصد الاجانب منا ونحققنا
من مضار الدخيل ترانا في صمم وعى لا نبصر ولا نتبصر ...
أفما آت لنا يا بني الاسلام ان نقشع عنا غشاوة قلوبنا ونجلى سحابة
الانقياد الاعمي عن هيوتنا حتي نرى فعل الاجانب فينا ونحتاط
بما نكته سرائرهم لنا او ما آت لنا ان نجتمع ونجد ونشد أزر الجامعة
ونثقوى علي صدهجمات هذا الدخيل المميته لاحساساتنا والميدة لاستقلالنا
بل القاتلة لنفوذنا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

نطق الزمان فكان البلغ ناطق	بمواظع عنها القلوب تترجم
اهدى لنا عبرا بشير عبادة	ان الزمان هو الفصحى الاعجم
ما للقلوب تقلبت عن رشدها	أقت عن الارشاد أم لا تفهم
يا للمعبون ترى العجائب حجة	وكأنها عما تشاهد نوم
تبا للآثياب نبت أعمالها	عن علمها فكأنها لاته لم

بنوا قومه التتار وبعد حروب خفيفة ومناوشات لا تذكر استولى على
مدينة بغداد حيث كان مهذله السيل ذاك الوزير المازن القدار
وقتل جميع اهله فلم يعلم منهم الا من اختفى بيشرا ونحو ذلك وكانت
حادثتهم المشؤمة في بغداد من الحوادث العظيمة والمصائب الكبرى على
الاسلام وبنيها واسروا الخليفة وقتلوا عائلته امامه بدون شفقة ولا رحمة
ولا خوف ثم قتلوه وبعده قتلوا الوزير صاحبهم جزاء لحياته وعبرة
لخلافه وان كان هو المتسبب لهم في هذا الانتصار وكانت قتلته بحالة
فظيمة اهتزت من هول نظرها الكائنات

ولما حصل ما حصل في بغداد من الحراب والدمار زالت تلك الدولة
من تلك الاسماع وكان ذلك في سنة (٦٥٧) هجرية الموافقة
لسنة (١٢٥٨) ميلادية

جري القضاء بأمر لا مرد له والاصر فيما قضى الرحمن مقدور
والله ما الذنب الا في مقدمة وما لما قدم الرحمن تأخير
ثم استقل من بقي من بني العباس الى الديار المصرية واستوطنوها واستقروا
بها نحو الثلاثة قرون تحت رعاية دولة المماليك ولم يكن لهم غير
الامامة الدينية وما يتعلق بالامور الشرعية حتى تملك دولة بني
عثمان ادام الله ملكها وخلد عزها

ولازالت عناية المولى محدة بسلطاننا وخاينتنا سلطان البرين وخاقان
البحرين امير المؤمنين وحامي حوزة الملة والدين السلطان بن السلطان السلطان
(عبد الحميد صاحب النصر والتمكين والعز والسعد المكين

ولا زال غروس الجنبات منمما باصناف نعماء وارفات ظلالها

وليحفظنا سيد الوزراء ومقصد الامراء. عضده الوحيد وساعده الشديده
مايكنا وخديويته العزيزه العاليه افندينا (عباس باشا حامي الثاني) ادام الله
دولته وايده صولته واعز ظله واهلك اعداءه

وعاش في عز وفي بهجة ومصفو عيش سعيدة مقبل
فتاها سبحانه وتعالى ان يخلد ملكها وليد وماما حوطين بعين الضايه
الربانيه محوطين بحصن الرعايه الازليه ما دم الفرقدان وتوالي
الجنديدان آين

(عود)

اقبل مآذير من باتيك معتدرا ان بر عندك فيما قل اوكذبا
ربما يكون المقارى قد مل الحرجنا عن الموضوع بذكر ملخص تاريخ
الدولة العباسية فتجيبه بأن مناسيه المقام ولما له في روايتنا من الارتباط
اضطررنا لذلك ونرجوه عذرا وصحة فان المفهوم من شيم الكرام
ولنه بحضرة الى دار الخلافة العظمى وقصر امير المؤمنين الثالث بشر
من خلفاء تلك الدولة وهو المبرز المتوكل علي الله فيرى الامير يار كورج
أكبر جراس الخليفة وولد غادة روايتنا السيدة جول راكبا جوادا شهب
لا يبلغ تبليغ حصر وصفه ولو اسهب قلاد الباب الشرقي باب الديوان
الملوكي ومركز الاعمال ولاحكام

ودخل منه بعد ان حينه الجنداوا افنون الجانبين وسار بين خدم وحشم حتي
وصل الباب الداخلي وهناك قرجل عن جواده فاستلمه احد الحراس ثم
صعد علي بعض درجات من الرمر الشفاف الناصع في اليانض ومنها
صلوفي للصالون الجانص المعلوم بالسكون مع وجود ما يوف عن

المائتين مملوكا به وناهيرك بالحية وجلالة المركز الخلافي المقدس
 واتجه نحو باب حجرة الخليفة الواف امامها عدد فقير من اكابر القواد
 وهم شاعرون سيوفهم المتهدية مرتين تلابسهم الرسمية وبعد الاستئذان
 دخل مقبلا الارض بين يدي امير المؤمنين وسلم بسلام الخلافة الاسلاميه
 والمالحه الخليفة المعز انشأ اليه بالجلوس فجلس بمرتبة
 وكان المجلس في تلك المحظة غاصا باكابر القوم واشراف المدينة من وزراء وعلماء
 وقواد وحكام ومن خلفه خازنه الخصوصي وحاجبه سماه بن صالح الوصيف
 منتصب بأدب واحترام ويده طوق من الابرز الخالص ومرصع بالاحجار
 الكريمة كلؤلؤ وياقوت وذمرد والماس وبوسطه بحبرة الخليفة المجوهرة
 وخاتم خلافة المباسية الاسلاميه

وبالاختصار ان هذه الغرفة وما حوته توقف النظر وتدهش الابصار
 حيث كنت ترى الاثاثات الخيرية المزركشة والمقاعد القطيفة المذهبه
 فضلاء عن ملابس الجلوس الرسمية

وبعد جلوس الامير يار كوج برهبة يسيرة التفت نحوه الخليفة المعز
 وقال بظومة وقار يروني ما حل بابتك المزينة يار كورج

فاتصّب في الحال الامير يار كورج مقبلا الارض ثانيا وقال بصوت
 خافت وهو راكع على ركبتيه : دمت يا مولاي مرمزا منصورا فكل حادث
 لا أبالي به مادمت ملحوظا بعنايتك البهية راقما تحت ظل ساحتك السنية....
 فلقد جمات جسدي غائصا في بحار فضائك غارقا في لجج انعامك
 بتنازل الحضرة النلوكانية وتعطفاتها الزكية نحو عبيد عبيدها الذي كله
 السنة تشكر وجوارح ثني وتحمد

أوليتي نهما فلا أقوم بشكرها وأثبتتني كل الأور بأمرها
 فلا شكرتك ماحيت وإن أمت فلتمدحك أعظمي في قبرها
 وبم ما أدى الواجب عليه من الدعاء والتشكرات أو ما إليه الخلية بالجلوس
 فجلس - سر - ر الخوا د فرح القلب لحسن تطفات أمير المؤمنين ورضاه عليه
 ولم تمض برهة وجيزة حتى التفت الخليفة نحو كاتب سره قائلا : أين
 ما أمرتك به يا ابن الأسكافي فتأوله المذكور قرطاسا من الورق الأبيض
 محررا بسطور من ماء الذهب فأخذ الخليفة والتفت نحو الجميع قائلا بحماس
 نحمد الله على نعمه ونستعين به على طاعته ونستنصره على أعدائه ونؤمن
 به حقاً وتوكل عليه مفرضين الأمر إليه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
 بعد على فترة من الرسل ودروس من العلم وأدبار من الدنيا وإقبال من
 الآخرة بشيراً بالنعيم المقيم ونذيراً بين يدي الأمم بالعذاب الاليم فبلغ الرسالة
 ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده فأدى عن الله وعده ووعدته حتى
 أتاه اليقين فإلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام
 اعلموا أيها الحضور إنما أنا ظال الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسيده
 وتأيبه وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وأرادته وأعطيه بأذنه فقد جعلني
 الله ملكاً ووهبني ملكاً وحكمني فيما بين الخلق كي أسوسهم بالحكمة
 والعدل لأبالجور والظلم

ولذا تروني مهتما برعبي غاية الاهتمام بأذلا كل جهد لراحة الناس
 والعباد حيث وكلت أنا ما لا ثقتين يدرون حركاتهم ويحكمون بينهم بالعدل
 والانصاف وفضلا عن انتخاب هؤلاء الذين بهذا المجلس غالبهم وثيق
 بأمانتهم قد نشرت بينهم الجواسيس كي يحيطوني علما بكل حسنة أو سيئة

تصدر منهم لأجازى كلامهم حسب ما عمت يده

ولا تستعربوا من ذلك فأنتم تعلمون انه بوفاء لا مير (مزاحم بن خاقان)
نصبت مكانه نجلة (أحمد عرفان) واليا على الديار المصرية ولكن خاب ظني فيه
حيث بلغني من بعض المخبرين انه سلك سبلا تارق سياستنا وتحط بكرامة
عدائنا وتغاب قسرا بالجزيرة على ضمهاء أولئك الناس وساد على رعايانا بحيف
عنيف وتمسك يكرهه رسول الله وآباء الشرف هذا مع ادمانه شرب
المسكرات واتيانه الموبقات وتمسكه وقتكه بالاعراض المصونة حتى يئست
من صلاح حاله وحسن مآله

ولهذا الذنب الكبير والجرم العظيم قد عزلناه عن هذا المنصب الذي
لا يستحقه وطردناه عن ديار الموحدين ليقطن بدار اخوانه الفاسقين جزاء له
وليعلم ان المدل أساس الملك وان الظلم مرتمه وخيم
وبعد ان سكت برهة وجه كلامه نحو الأمير بابكيال وزبره الا كبير
ومستشاره الاعظم قائلا

فجزاء لخدمائك المشكورة ومكافأة على أعمالك المبرورة قد وهبت
لك خراج تلك الولاية سنويا ومنحتك تلك الديار فول عليها
من قبلك من تشاء من المال وتقرس أحسنهم وأخاهم بمنصبها
عساك لاتقع في محاب خوون...

واستلم بيتنا واقبل عطيتنا لتكون أنموذج صدق وأمانة وتمثال
جد ونشاط يقتدى بك المال والحكام. قال ذلك وناوله أمره السامي
البدون فيه ذلك الإنعام الملوك والهبة السلطانية بعد ان بصره بختم
الخلافة الإسلامية وكان نقشه (الحمد لله رب كل شيء وخالق كل شيء)

الخلافة الاسلامية (٥٢٥) سنة حكم في اثنتيها سبع وثلاثون خليفة
أولهم عبد الله الملقب بالفتح الذي يمكن سلطته وقوى شوكرته
بتدمير دولة الامويين وصير الخلافة للمبشرين

وكان عصر هذه الدولة من أعظم أعصر الشرف والرفعة حيث
الاسلام بلغ فيه أرفع اندرجات من حيث الصناعة والتجارة والفتوحات
العظيمة التي جعلت الامة المحمدية في بحبوحة من الثروة وأحرزت
مكانة سامية وعمرانا عظيما حتى أهلبها مآسروها واغبطها أحيائها
وحسدوا أعدائها ولكن من الأسف لم تلبث شوكة المملكة مدة
يسيرة الا وأفل نجم سمودها وأخذت في الانحطاط من عهد هاشم
خلفائها المتوكل على الله الذي كانت المملكة من أول خلافته فوضى لا يعرف
لها رئيس لان الممالك الذين كان أديانهم والده المتعصب بالله قد كثروا
في مدينة بغداد وقويت سلطتهم وصار يدهم زمام الحل والعقد مع
عدم فطانتهم وذكائهم حتى بلغت الاحكام من سوء النظام الفلانية
القصوى والله در القائل

تهدي الامور باهل الرأي ماصحوا وان تولوا فبالاشرار تنقاد
لا يصلح الناس فوضى لا سراقهم ولا سراق اذا جهلهم سادوا
فكنت تراهم يقتلون ويذلون ويولون من شاؤا من العمال حسب رغبتهم
الموجة وفكرتهم السخيفة حتى لم يبق للخليفة في مسدتهم من السلطان
والحكم الا مجرد الخطبة والاسم واستمر الحال على هذا المنوال حتى
وقعت المفاسد وعمت التفتن وكثرت المشاكل وازدادت المحن
وقد ضعفت تلك الدولة وقل نفوذها بعد ذلك بالمر والاقتدار والاجلال

والفخار حتى لم يبق لها من الولايات والاقاليم سوى بغداد
 واطرافها وستولي محالها على اكثر اقطارها وممظم ولا تهاشقوا عصا
 الطاعة واستاثروا بالملك واختصوا بالاحكام بطريق التمدي والمدون
 فالمسي سيف الدولة تغاب على ولاية حاب وما يتبعها من البلدان
 والمقرب بابن دباطاب تغاب على اليمن وابن ابويه استولي على بلاد فارس
 والقرامطة تسلطوا على البحرين واهمد بن طولون الذي هو بطل روايتنا
 استقل بالديار المصرية وتغاب على جزء من الديار الشامية كما سنسرده
 لاقرأ تفصيلا وندينه تبينا

هذا مع وجود دولتين اخريين تدعيان الحق في الخلافة وهما الدولة
 الرواية بالاندلس (١) والدولة الفاطمية بالقرب فكانت هاتان الدولتان

(١) اتى لمت بها الابطادي الاورباوية وتداخلت فيها الاجانب حاملة
 لواء التمدن والحريه مظهرة الاصلاح والتفلاح وبثوا بين اصرانها
 جرثومة الفتن وزرعوا لهم بذور الفساد حتى اوقعوهم في بعضهم البعض
 وقامت الحروب بينهم ففنى معظمهم وتشردت باقوهم وبذلك الدهاء العجيب
 والمكر الغريب تسنى لهم الاستيلاء على تلك المملكة البهيمة وهاتيك
 الاقطار الجميلة الفنية وبعد ما كانت عربية اسلامية صارت افرنكية مسيحية
 ألا وهي مملكة (اسبانيا) الآن

فأجني بالله عليك ايها القاري اي فؤاد لا يتصدع واي قلب
 لا يتقطع واي كبد لا تنفث واي مهجة لا تذوب بل واي عيون
 لا تذرف دموع الدمع دما كهدا وحزنا وفأسما وتحسرا على تلك الديار
 العربية وما نالها من تصرف اعدائها بها بواسطة منافقيها الذين

تنازعنا في الامامة الدينية والامارات المذكورة تنازعها في الساطة
الادارية التي ضاعت وفقدت من الخلفاء حتى في مدينة بغداد عاصمة
ملكهم ومقر كرسيمهم

لان المستمع بالله آخر خالفها بالعراق فان له وزير رفضى ...
يود زوال الملك وضياع الخلافة من بنى العباس فصار يكاتب زعيم التتار
المدعو (هلاكوخان) ويحسن له التملك ويطمعه في ملك مدينة بغداد
... لانه ابادة هذه الدولة من عالم الوجود

فطمع المذكور بعد ان استوثق بكلام الوزير الملعون وحضر ومعه
يضمرون السوء ويظهرون المسرة والحبور

ولكن يا اللاف ويا للندم مع علمنا بقصد الاجانب منا ونحفة منا
من مضار الدخيل ترانا في صميم وعى لا نبصر ولا نتبصر ...
أفما أن لنا يا بني الاسلام ان نقشع عنا غشاوة قلوبنا ونجلى سحابة
الانقياد الاعمي عن هيوئنا حتى نرى فعل الاجانب فينا ونحتاط
بما نكته سرائرهم لنا او ما أن لنا ان نجتمع ونجد ونشد أزر الجامعة
ونتقوى على صدهجمات هذا الدخيل المميته لاحساساتنا والميدة لاستقلالنا
بل القاتلة لنفوذنا فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

نطق الزمان فكان المبع ناطق	بمواظع عنها القلوب تترجم
اهدى لنا عبرا بغير عبادة	ان الزمان هو الفصح الاعجم
ما لا قلوب تغلبت عن رشدها	أقست عن الارشاد أم لا تفهم
يا للعبون ترى المعجائب حجة	وكانها عما تشاهد نوم
تبا لأبواب نبت أعمالها	عن علمها فكأنها لاته لم

بنوا قومه التتار وبعد حروب خفيفة ومناوشات لا تذكر استولى على
مدينة بغداد حيث كان مهدله السبل ذلك الوزير المائت القدار

وقتل جميع اهائها فلم يعلم منهم الا من اختفى يثرا ونحو ذلك وكانت
حادثتهم المشؤمة في بغداد من الحوادث العظيمة والمصائب الكبرى على
الاسلام وبنيها واسروا الخليفة وقتلوا عائلته امامه بدون شفقة ولا رحمة
ولا خوف ثم قتلوه وبمده قتلوا الوزير صاحبهم جزاء لحياته وميرة
لخلافه وان كان هو المتسبب لهم في هذا الانتصار وكانت قتلته بحالة
فظيمة اهتزت من هول نظرها الكائنات

ولما حصل ما حصل في بغداد من الخراب والدمار زالت تلك الدولة
من تلك الاسماع وكان ذلك في سنة (٦٥٧) هجرية الموافقة
لسنة (١٢٥٨) ميلادية

جري القضاء بأمر لا مرد له والاصرف بما قضى الرحمن مقدور
والله ما الذنب الا في مقدمة وما لما قدم الرحمن تأخير
ثم استقل من بقي من بني المباس الى الديار المصرية واستوطنوها واستقروا
بها نحو الثلاثة قرون تحت رعاية دولة المماليك والسكن لم يكن لهم غير
الامامة الدينية وما يتعلق بالامور الشرعية حتى تملك دولة بنو
عثمان ادام الله ملكها وخلد عزها

ولا زالت غاية المولى محقة بسلاطنتها وخليفتنا سلطان البرين وخاقان
البحرين امير المؤمنين وحامي حوزة الملة والدين السلطان بن السلطان السلطان
(عبد الحميد صاحب النصر والتمكين والمز والسعد المكين)

ولا زال خروس الجناح منعم باصناف نما وارقات ظلها

وليحفظنا سيد الوزراء ومقدم الامراء عضده الوحيد وساعده الشديده
مايكنا وخديويته العزيزه العاليه افندينا (عباس باشا حامي الثاني) ادام الله
دولته وايده صولته واعز ظله واهلك اعداءه

وعاش في عز وفي بهجة ومرفه عيش سعه مقبل
فتسأله سبحانه وتعالى ان يخلد ملكه ما وليد وما ماحوظين بعين العناية
الربانيه محنوظين بحسن الرعاية الازليه ما دم الفرقدان وتوالي
الجديدان آيين

(عود)

اقبل فعاذير من اتيك متندرا ان بر عندك فيما قل اوكنا
ربما يكون للقارى قد مل الخروجنا عن الموضوع بذكر ملخص تاريخ
الدولة العباسية فتجييه بأن مناسبة المقام والماله في روايتنا من الارتباط
اضطررنا لذلك ونرجود عذرا وصحة فان المفهوم شيم الكرام
ولنه بحضورته الي دار الخلافه العظمى وقصر امير المؤمنين الثالث بشر
من خلفاء تلك الدولة وهو المتزين المتوكل علي الله فيرى الامير يار كورج
أكبر جراس الخليفة وولد غادة روايتنا السيدة جول راكبا جوادا شهب
لا يبلغ تبليغ حصر وسفه ولو اسهب قاصد الباب الشرقي باب الديوان
الملوكي ومركز الاعمال ولاحكام

ودخل منه بعد ان حينه الجندا وافقون الجانبين وسار بين خدم وحشم حتي
وصل الباب الداخلي وهناك ترجل عن جواده فاستلمه احد الحراس ثم
صعد علي بعض درجات من المرمر الشفاف الناصع في اليانص ومنها
صارت في الصالون الخاص المعلوم بالسكون مع وجود ما يثوف عن

المائتين مملوكا به وناهيك بالحية وجلالة المركز الخلفي المقدس
واتجه نحو باب حجرة الخليفة الواف امامها عدد غفير من اكابر القواد
وهم شاعرون سيوفهم المتهدية مرتدين ملابسهم الرسمية وبعد الاستئذان
دخل مقبلا الارض بين يدي امير المؤمنين وسلم بسلام الخلافة الاسلاميه
ولما لمح الخليفة الممتز اشار اليه بالجلوس فجلس بمرتبه
وكان المجلس في تلك اللحظه غاصا باكابر القوم واشراف المدينه من وزراء وعلما
وقواد وحكام ومن خلفه خازنه الخصوصي وحاجبه سماء بن صالح الوصيف
منتصب بأدب واحترام ويده طبق من الابريز الخالص ومرصع بالاحجار
الكريمة كالؤلئ وياقوت وذمرد والماس وبوسطه محبرة الخليفة المجوهرة
وخاتم خلافة العباسية الاسلاميه

وبلاختصار ان هذه الغرفة وما حوته توقف النظار وتدهش الابصار
حيث كنت ترى الاثاث الحريرية المزركشة والمقاعد القطنية المذهبه
فضلا عن الملابس الجلوس الرسمية

وبعد جلوس الامير ياركورج برهبة يسيرة التفت نحوه الخليفة الممتز
وقال بمظنة ووقار : يسوفني ما حل بابتك المزينة يا ياركورج

فاتصّب في الحال الامير ياركورج مقبلا الارض ثانيا وقال بصوت
خافت وهو راكع على ركبتيه : دمت يا مولاي ممرزا منصورا فكل حادث
لا ابالي به مادمت ملحوظا بعنايتك البهيه راتما تحت ظل ساحتك السنيه....
فلقد جمات جسدك غائضا في بحار فضائك غارقا في لجج انعامك
بتنازل الحضرة الملوكانية وتمنناتها الزكية نحو عبيد نبيدها الذي يكله
السنّة تشكر وجوارح ثني وتحمد

أوليتي نعماً فلا أقوم بشكرها وكفيتني كل الأمور بأسرها
 فلا شكر لك ماحيت وإن أمت فقامدحتك أعظمي في قبرها
 وبعد ما أدى الواجب عليه من الدعاء والتشكرات أو أاليه الخليفة بالجلوس
 فجلس مسروراً الخوادر فرح القاب لحسن تعطفات أمير المؤمنين ورضاه عليه
 ولم تمض برهة وجيزة حتى التفت الخليفة نحو كاتب سره قائلاً : أين
 ما أمرتك به يا ابن الأسكافي فتأوله المذكور قرطاساً من الورق الأبيض
 محرراً بطور من ماء الذهب فأخذ الخليفة والتفت نحو الجميع قائلاً بحماس
 نحمد الله على نعمه ونستعين به على طاعته ونستنصره على أعدائه ونؤمن
 به حقاً وتوكل عليه مفرضين الأمر اليه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
 بعد على فترة من الرسل ودروس من العلم وإدار من الدنيا وإقبال من
 الآخرة بشيراً بالنعيم المقيم ونذيراً بين يدي الأمم بالعذاب الاليم فبلغ الرسالة
 ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده فأدى عن الله وعده ووعيده حتى
 أتاه اليقين فلي النبي من الله صلاة ورحمة وسلام

اعلموا أيها الحضور أننا أنا ظالم الله في أرضه أسوسكم بتوفيقه وتسديده
 وتأيبده وحارسه على ماله أعمل فيه بمشيئته وإرادته وأعطيه بأذنه فقد جعلتني
 الله ملكاً ووهبني ملكاً وحكمني فيما بين الخلق كي أسوسهم بالحكمة
 والعدل لأبالجور والظلم

ولذا تروني مهتماً برعي غاية الاهتمام بأذلا كل جهد لراحة الناس
 والعباد حيث وكلت أنا ما لا ثمين يدرون حركاتهم ويحكمون بينهم بالعدل
 والانصاف وفضلاً عن انتخاب هؤلاء الذين بهذا المجلس غالبهم وثق
 بأمانتهم قد نشرت بينهم الجواسيس كي يحيطوني علماً بكل حسنة أو سيئة

تصدر منهم لأجازى كلامهم حسب ما عملت يداه

ولا تستغربوا من ذلك فأنتم تعلمون انه بوقاة الامير (مزاحم بن خاقان) نصبت مكانه نجله (أحمد عرفان) واليا على الديار المصرية ولكن خاب ظني فيه حيث بلغني من بعض المخبرين انه سلك سبلا تثارق سياستنا وتحط بكرامة عدائنا وتقلب قسرا بالجور على ضمهفاء أولئك الناس وساد على رعايانا بحيف عنيف وتمسك بكرهه رسول الله ويأباه الشرف هذا مع ادمانه شرب المسكرات واتيانه الموبقات وتهتك وفتكه بالاعراض المصونة حتي يتست من صلاح حاله وحسن مآله

ولهذا الذنب الكبير والجرم العظيم قد عزلناه عن هذا المنصب الذي لا يستحقه وطردناه عن ديار الموحدين ليقطن بدار اخوانه الفاسقين جزاء له وليعلم ان العدل أساس الملك وان الظلم مرته وخيم

وبعد ان سكت برهة وجه كلامه نحو الأمير بابكيال وزبره الا كبير ومستشاره الاعظم قائلا

فجزاء لخدماتك المشكورة ومكافأة على أعمالك المبرورة قد وهبت لك خراج تلك الولاية سنويا ومنحتك تلك الديار فول عليها من قبلك من تشاء من المال وتقرس أحسنهم وأخافهم بمنصبها عساك لاتقع في مخاب خؤون...

واسلم هبتنا واقل عطيتنا لتكون انموذج صدق وأمانة وتمثال جد ونشاط يقتدى بك المال والحكام. قال ذلك وتاوله أمره السامي المدون فيه ذاك الإنعام الملوكي والهبة السلطانية بعد ان بصره بختم الخلافة الاسلاميه وكان نقشه (الحمد لله رب كل شيء، وخالق كل شيء)

فتأوله الامير بابكيال بيد الشكر والامتنان واتصّب قلنا يمدح
الخليفة ويشني عليه بافصح عبارة ويبلغ كلام

وفيما هو مهمم بذلك كان حاجب الخليفة وخازنه سماء بن صالح
الوصيف يتأجج قلبه بشيران الحسد والغيرة ويذوب جسمه بموامل
الكمد والغيظ وأصر في نفسه ان يدبر أمرا عظيما ويفعل عملا شديما
يتسبب منه قتل الخليفة ومن يكون له من المقربين كالوزير بابكيال
مدوم القديم خصوصا فان هذا الانام قد حرك ما بقلبه من الشر المكثون ...

وبعد ما تم الامير بابكيال فروض الشكر وسنن الدعاء انقض المجلس
بأمر الخليفة وخرجت الجموع بنظام تام وترتيب فريب بعد أداء سلام
الخلافة المباسية وتقديم واجبات التحية الملوكانية

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن انثى لو تطاول عمره الى الغاية القصوى فلاقبر آيل



الفصل السادس

في ان القليل من الحبيب كثير

فما أيام تنقضت لنا ما كان احلاها وأهناها

صرت فلم يبق لنا بعدها شيء سوى ان نتناها

حينما كان الامير احمد بن طولون راكبا في وسط غرفته متجها بوجهه
الى الجهة الشرقية جهة القبلة الضمديّة وكعبة الامة الاسلامية وهو آخذ

في التضرع مسترسلا بالدعاء يشكو حاله لخالفه وبارئته راجيا من الله رحمة وحسن اغاثته من كربته وحزنه كما تركناه في أواخر الفصل الثاني وبجانبه احمد ابن الواسطي كاتبه ونديعه وهو منكس الراس كاسف البال يكاد ان يتمزق أسفا وتحريرا على حالة ابن طولون

واذا بباب الغرفة قد دق فانتبه ابن الواسطي من دهشته واسرع نحو الباب وبمد بضمة ثوان رجيع مهرولا واشعة السرور تتلألأ من بين مقلتيه وقال بفرح وحدة . ابشر سيدي فلنك العز الدائم وما من كربة الا واعقت بفرج ذاك تقدير العزيز الحكيم

كن عن همومك ممرضا ودع الامور الي القضا
فلرب أمر مسخط لك في عواقبه رضا
وابشر بخير عاجل تنسي به ما قد مضى

فاستنز الامير هذا الكلام والفت نحو ابن الواسطي ولمح يده مظلوما فاختطفه باهمة وفضة بدعته وبمد تلاوة جملة لاحت علي خيام المكفورة علامات الانشراح وجلس على مقعدة سرور القواد صرناح انضير وقال بصوت البهجة والمسرعة

من الذي اتى بهذا ؟

- اتى به اؤاؤ خادم السيدة جول

- واين هو ؟

- خارج الباب ينتظر مقابلتك

استنبي به . قال ذلك وشخص الي المكتوب يكرر تلاوته ويلتذ بمطالمة

لانه من مالكة رقة وسالية رشده ومحبوته العزيزة

وبعد لحظة دخل عليه ابن الوسطي متباطئاً ساعداً الفتي أولاً فقام الأمير بن طولون
على الاقدام واستقبلها بحسن استقبال وبعد مبادلة التحية والسلام اجلس الفتي
أولاً بجانبه وأخذ يبايعه ويمارجه حتى أتى ذكر السيدة جول فاستفسر الأمير
عن حالتها وأجابته لولاً قائلاً: يعجز اللسان يا سيدي عن وصف هذه الحوادث المولم
وتحار العقول وتتفتت المراتر أمام هذا المصائب المشؤم ولولا لطف المولى عز
وجل لكننا الآن محوطين بهذا الهول العظيم

وكيف علمت بمكانتنا هذا أيها الوالد حتى اتبعت نفسك وكلفت خاطرك
وبعد ان سكنت لهذه قال واني متشكر لافضالك حافة ظاهدا الجليل في دفتر مروه تكم
السابقة حتى نتيج لي الظروف وتساعدني الفرص فأنا فؤك أيها العزيز علي أعمالك
البرورة وخدمائك المشكورة

ازرع جميلاً ولو في غير موضعه ما خاب قط جميل اينما زرعا
ان الجليل وان طال الزمان به فليس يحصده الا الذي زرعا
دمت يا مولاي رافلاً في ثوب السعادة ولا أراك الدهر مكروها
واني لا أستحق هذا الثناء وما فعات الا الواجب نحو محبوب مثلك
ربيته منذ المهد واني أدعو المولى عز وجل من صميم فؤادي ان
يحيني حتي أري قرانك السعيد بركة العنة والكمال وعنوان الفخر والاجلال
أما الطريقة التي وصلت بها الي هذا المكان وحظيت برؤية ذلك
الشريفة هو اني لما استلمت الخطاب من سيدتي وقصدت به القلعة
وأنا بأظم سرور وأنس وحبور وجدتها عامة بالسكوت ودلائل الخلو
ظاهرة على أطرافها فالتقيت قلبي واعتزتي الا كدار وخطر بيالي
هذان البيتان

قلت يوما لدار قوم لناؤا أين ستأمنك الكرام لدينا
 فأجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست اعلم أين
 ووقفت أتلفت بيننا ويسارا كالمذهول وأخيرا لمحت أحد خفراء
 الدرك فاستفهمت منه عن الساكنين وأين كان رحيلهم. فأجابني مايفيد
 ان جنابكم رحلتهم بمن معكم من الجند فجر ذلك اليوم قاصدين قلعة
 علا الدين للاقامة بها والحفاظة عليها

فازدت همما على غمي وصممت ان لا أعود خائبا لئلا تزداد
 آلام سيأتي وعزمت على السفر قاطعا الطريق بالاستفهام حتى
 وصلت وتيممت بنور طلعتك البهية وحظيت بمقابلة ذاتك السنية التي
 هي غاية المراد من رب العباد

فقال الامير بن طولون بعد ان شكره على تلك لهمة الشريفة. يا هل ترى من من
 الاشرار تجاسر على هذا الفعل مع السيدة جول حيث رماها بحجره المنكر
 -- لا يخلو الانسان ايها الامير مهما كانت صفته وحيثته من عدو بل أكثر
 -- نعم ان الانسان لا يخو من قاذح وحاسد ولا يخلو من الاعداء
 خصوصا في هذا الزمان الذي كثرت فيه الحساد والمبغضون والنامية والمنافقون
 زمان كل حب فيه خب وطعم الخلل خل لا يذاق

ولكن السيدة جول فتاة قما ان تخرج من باب دارها فمن اين يكون لها اعداء؟
 -- اني لمتعجب من ذلك ايضا وقد جاني بخاطرى ففكر اجهدت النفس
 فيه لكي اتحقق من مصدر تلك الدسائس وبنيتها وقد كدت ان
 أفوز حيث تجلت لي أشمة المعرفة ولكنها من خلف ستار الظنون .
 وبعد ان سكت برهة قال . . وصرت اهتم في ازالة تلك الستار حتى

تتكشف الحقيقة جلية وكل آت قريب

— بالله يا عزيزي لوأؤ أوضح لي كلامك بصرف النظر عن تلك الرموز المبهمة... فقل وعسى ان تساعدني المقادير وتسهل علينا معرفة الجاني اللئيم

— ليس هذا أوان التكام ياسيدى ولنطرحه لفرصة اخري فلربما اكون مخطئا في افكاري وان بعض الظن اثم وأرجوك ان تعلمني حتي تتمكن من الاثبات

فدمدم ابن الواطلي بصوت خافت جدا وتبسم باستغراب وكان افرس اهل زمان من حيث النباهة وسرعة الادراك وقد تبين له من خلال تلك المحادثة ان لوأؤ ما أخفي الحقيقة الا لامور ذات بال فقال باستهزاء

أظن ايها الامير ان عزيزي لوأؤ ما خاطبنا بالانماز وجاونا بالرموز الا ليزداد تشوقنا ونهتم لمعرفة كنه كلامه فاجابه لوأؤ بمحبة قائلا .. حاشا ان يكون ذلك يا صديق مع علمي بان هذا الامر يهمكم كما يهمني

— حينئذ ما الفائدة في كتمان ما يتخالج افكارك والخبر يكاد ان يبرز من بين شفئك

ففي يحدث عن سرى فاطمهرت سراير القلب الا من حديث فم ثم أردف عبارته قائلا لكي يفهم لوأؤ فينطق بسرهم : وأظن ايها الامير ان لوأؤ ما أخفي عنا الحقيقة الا خوفا من الاشاعة فلمذره وتركه لانه على مذهب من قال

السر عندى في بيت لا غلق قد ضاع مفتاحه والبيت مختوم
 فقاطع لؤلؤ حديثه قائلا بحماس وحدة زائدة . لا تصور أيها
 الصديق ان أيي الغان بكما الي هذا الحد وخاشا ان يخطر على بالي
 أو يمر على فكرى أنكم ممن يفشون الاسرار ويبوحون بالاخبار
 مع وثوقى بصداقتكم وتحققى من محبتكم
 - اذا كان الامر كذلك أيها الحب فلا تتركنا سرى الهواجس ورهينى الوسواس
 فأتارق لؤلؤ رأسه برهة ثم رفعها بتضجر وتلفظ بما هو آت
 انك يا صديقي أحمد قد جسمت المسألة وجعلت لها ذيلاطويلامركزا . مع
 كون الامر بسيطا جدا وأنا ما وددت الكتمان الا لكي أبقى بماداري خلدي ولكن
 بما ان حديثي قد تسبب منه ولوجكم في طريق الشكوك والظنون فأنا أبرح لكم
 بما حواه سرى وأطرح بينكما أفكارى . . . تحت شرط أنكما لا تسمكان
 بأقوالى وتضمانها على مقعد الحقيقة بل ارجو كما ان تتركها الآن على وسادة
 الخن والتخمين . . . وهو أنه من منذ سنة تقريبا خطب الامير بابكيال
 لنجله الامير برقوق السيدة جول والى لم سيدي الامير يار كورج بسوء اخلاق
 برقوق وطبائمه الغير الممدوحه وصفاته المذمومة من حيث البلادة والجبن
 فضلا عن خلوه من الممارف وتجرده عن الملموم التي هي كمال المرأ
 وخليقته الأذوية رده خائبا باطف متعللا بصفر سننها وعدم لياقتها لازواج
 وبعد ان تردد الامير بابكيال المرة بعد الاخرى ألح في طلبه حتى
 وانه أحال على الامير يار كورج بعضا من اصدقائه الاعزاء قطع حبل
 أمه حيث أجابه سيذى يار كورج تطعيا بانها خطيبة ابن اخيه الامير
 احمد ابن طولون ... (هنا حصلت في المجلس رجة فرح وسرور خصوصا

بطل روايتنا ابن طولون فان امرته ابرقت واحمر وجهه وصار يتقرب
بكرسيه شيئا فشيئا حتي التصق بلوثو وجميعه مسامع تصني لهذا الحديث
اللطيف والبشرى الغير المنتظرة) تم تتبع كلامه اولو قائلا .. واطف
ان الغرام فلك يبرقوق ككاشاع وذاع وصار يبحث وينقب حتي عثر على
سهميرة السوء عبي النفاق ومشيدى الفرور واستخدمهم بالنقود لكي
يوقعوا السيدة جول في شرك حبه بطريقة السحر والمدون ... (هنا
اقشعر جسم الامير بن طولون واستلكنه هزة الاتهام واصفرت سحنته
بعد الاحمرار ودمدم كما يزوم السبع الكاسر) فاحظ منه ذلك اواؤ وعلم
ان هذه الجملة اثرت علي حواس الامير بن طولون فقال بسرعة سبق
قدمت لكما رجائي بأن لاتحملا حديثي هذا علي محمل الحقيقة بل اتخذوه
ظنا وتخميننا لاني ربما اكون فيه من المخطئين .. ولكن يالاهجب كلما توغلت
في الموضوع ارى دلائل التصديق تلوح علي محيا كما .. وبما ان الامر
كذلك فاستمع حضرتيكما بالانتقال من هذا الباب وموضوع الحدس
والتخمين الي حديث آخر حتي تلوح لنا الظروف وتساعد القرص ونجزم
بصحة الخبر ونحقق من صدق الاشاعة

فالتفت احمد بن الواسطي نحو الامير بن طولون الذي كان ساجدا في
امواج من التصورات وقال نالله ايها الامير اني شعرت بجاذب طبيعي وصوت
داخلي يناجيني بأن ظن صديقي اولو هو عين الحقيقة وفكره هو الصواب
فتبسم الامير بن طولون تبسم الغيظ وقال وهو يحرك رأسه استغرابا
ه نعم ان قلب المؤمن دليله ولكن علي الباغي تدور الدوائر
بني وللبغي سهام تنتظر أنفذ في الاحشاء من وقع الابر

• وزارع البشر لا بد ان يجنيه وما علينا الا ان نابع نصيحة لؤلؤ
وتكنم هذا الخبر ثم نبحث بغفيرة ونفتش بدقة حتى نعث بالفاعل ونهت
في عرقلة مساعيه

فقال لؤلؤ نطقت بالصواب ايها الامير وانا اول من يبذل الجهد
في هذا الطريق الصعب المرام حتي يساعدنا الزمان ويصفى انا الدهر
الناس يجزون باعمالهم كل امرئ يحصد ما قد زرع
وبعد ان مضى عليهم برهة غير يسيره وهم في مجادلة ومباحثة استأذن
لؤلؤ من الامير قائلا : أرجوك أيها السيد ان تسمع لي بالعودة حيث تركت
السيدة جول بالانتظار وقد طال عليها المطال

فأجابه بن طولون بقوله لقد صدقت بالولؤلؤ وفي الحقيقة لقد طالت المدة ومضى
عليك أيام وأظن السيدة جول حسبت لفيابك الف حساب وان كان أرجوك
الانتظار لحظة حتى احرر لك رد الخطاب

قال ذلك وقام متجها نحو مكتبه وقبض على قلم صار يحول به على صفحات
قرطاس حتي ملأه بما جادت به عليه قريحته ووافق ذوقه وناسب
المقام : وكان الملخص مامعناه

حييتي وسعادة مستقبلي ومتهى آمالي

لا تسألني يا عزيزتي عما تحملمته من مشاف الانتظار وما قاسيته من مطاردة
الافكار لانك ادري بما كنت عليه من علة وما كنت فيه من شوق ووله حتي
صرت اتقلب على بساط آخر من الجمر وأتململ صبرا بل أمر من انصبر

صبرت حتي علم الصبر انني صبرت على شيء أمر من الصبر

ولما ضاق صدرني وعيل صبري وتراكت علي الاحزان والهموم واحتاطت

بي الا كدار والقوم واعترتني الهواجس وتماكنتي الوسوس بهت نحواً قتابك
يامنية الروح صدقي في البكاء والنوح لكي يتنسم اخبارك ويفيدني من سبب تأخيرك
وبذهابه قصدت القامة بغواً اذ كالم. ووصلتها بقاب مغموم حيث ان الاوامر
صدرت الي بالتمجيل من قومندان الجيوش علي الرحيل الي قلعة علاه الدين
ومفرق الزهرين وفيها كنت مشغولاً بترتيب المهمات اذا بصديقي ابن الواسطي
من طرفكم آت وأخبرني ان سبب التأخير هو انه لا مزاج قد حصل تمكير فصدفته
ورحلت بالجندرية ما من الانف وبضد ما كنت آتاه واطلبه وارغبه

لولا الضرورة ما فارقتم ابداً ولا تنفقت من ناس الي ناس

وقصاري الكلام يامن عقلي به الاستهام لما وصلنا قلعة علاه الدين احاطني ابن
الواسطي الخبر اليقين فظننت وقتها ان الزرقاء انطابت علي الغبراء وناد الحزن ان
يفترسني والكدر ان يقتلني وهممت علي الحضور لعارفكم واذا بصديقي لوأو
ومعه خطابك الذي تلاوته هداً ووعي وارادت لجمي روعي وبادرت بتحرير هذا
الخطاب تاركاً ما آتني من المدياب يترجم لك قلبك ويفسره بانبياءة عن محبك
واسأل المولى حصول المأمول من ازالة تلك الغياهب إنه أكرم مسؤول
(اسير المغموم ابن طولون)

وبعد الفراغ من تسطيره وضعه داخل غلاف وناولته الي لوأو قائلاً
هذا ما جاد به اليراع واهمكن تحريره وقد أغفلت ما قاسيته من اواعج
الاشتياق المزوجة بموامل الشجون والمغموم لتحتقي من كونك ايها
الغيور مستكون لسان حالي في به بين مهجة انقواد ومنية الروح حبيبي وابنة
عمي السيدة المصونة وأمل وطيد في عدم قطع المكاتبات لانها مرهم
آلامي والمسكنة لهواجسي وانشغالي كذا لا يلزمني ان احث همك الشريفة

على كشف دسائس المفسدين والبحث عن القوم الفادرين لاعتقادهم
واعترافى بانك الاب الوحيد والمضد السيد

ساعد صديقك في امر يحاوله فالحر للحر معوان على الزمن
— نفوا سيدي فلقد مدحتني بما لا استحقه لان ما الزمتني به هو امر مقدس
عندي وثق باني لا يهمني في هذا الكون امر من الامور غير ان تحيا عزيزا
وتعيش طالما في سماء السموات مطايا صهوة الجدران فلا في ثوب التواني مستجلبا
وجوه الاماني . وبعد ان تفودوا لولوا هذا الكلام قام الامير ابن طولون ومن
خلفه احمد الواسطي واؤلؤ وساروا حتي وصلوا خارج القلعة فاذا بالركائب
تنتظرهم فامتطوها ورفقتهم ثمر من الجند وأخذوا في قطع الطريق مدة
ست ساعات الي ان وصاوا (دريا) من دروب الاستراحة فزلوا فيه
وكان الفرنس من مرافقة لؤلؤ هو لتشييمه واحتراما لتوديعه وان
كان هذا على غير ارادة

وبعد ان استراحوا مسافة قام لؤلؤ بن يدي الجمهور متشكرا افضال
الامير ابن طولون ثم اقسم عليه بالرجوع مكتفيا بما لقيه من الحفاوة
ورسوم الاحترام

فقبل منه الامير ابن طولون رجاءه رغدا عنه لان مراده وغرضه
كان توصيل لؤلؤ ومرافقته حتي يصل مدينة بغداد ومع ذلك ما قفل
راجعا الا بعد ان اصحب لؤلؤ بنفريين من الجند لحراسته

وبعد رجوع الامير ابن طولون واحمد بن الواسطي سار لؤلؤ يقطع
الطريق بسرعة حتي اقترب من المدينة فأمر الجند بالرجوع مع تبليغ
سلامه وممنونيته الي قائدهم ابن طولون ثم استمر على المسير الي ان

وصل دار سيدة الامير ياركورج وكانت المدة التي مضت على غيبته
هذه خمسة أيام ما علم بها سيدة ياركورج لدواعي انشغاله بمريض ابنته
ولما صعد الي مقصورة السيدة جول ووقع نظرها عليه كاذ ان
ينبغي عليها من شدة الفرح

هجم السرور على حقي انه من فرط ما قد سرني أبكاني
يا عين صار الدمع منك سحابة تبكين من فرح ومن أحزان
وسأله بدهشة تخالجا عوامل السررات عن سبب غيبته وعاقبته
لتركها تقاسي مضض الانتظار تلك المدة الطويلة فأحاطها لؤلؤ بجميع ما
حصل وعلمه القارىء بعد ان ناو لها خطاب ابن عمها فاختطفته بهجة
وجاست امام احدي التوافد تمتع نظرها بتلاوته وتسلى ما بها من الموم
برؤيته . ولترك تلك الحزينة متقلبة على بسط آلامها وفرش أسقامها
تعاني عامل النوي سراً وتصابر عامل أحزانها جبراً ترقب راحة والشقاء
محذوف مدهم وتتوسم سرورا والبلاء لم تغتورها الأنان وتنتابها
الثوبات وتجتاطبها الحنات وتزاحم مخيلتها الهياكل المروعة وتمثل امام
بصيرتها الخيالات المتنوعة كل ذلك وأهلوها غير فرحين بل هم مرضي
لمرض وحيدتهم وعلى فراش معيبتهم متقابلون يقاسون من البلاء أشد
ومن العذاب اصره وحال السيدة جول

جنون وعشق ذا يروح وذا يندو فهذا له حد وهذا له حد
هما استوطنا جسمي وقلبي كليهما فلم يبق لي قلب صحيح ولا جلد



الفصل السابع

﴿ وربما صحت الاجسام بالمال ﴾

اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الاردي فتدري مع الردي
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارب يقتدي
وانشد بحضرة القاريء الى دار الجناني التي يلزمنا ان نلقبها بمرسيم
الاسحار او بجمع الاشرار لانها ما آوت من منذ تشييدها غييز أوباش
الناس وأراذل القوم حتي صارت أخيرا محط اعمال تلك الداهية العظمي
والمصيبة الكبرى عجوز حكايتنا وساحرة غادتنا التي بدهائها اغرت الامير
برقوق على فعل المنكرات وبمكرها حشته على اتيان الحرمات فأفلحت
ونجحت وأنى نباح.. حيث رأت من خلائقه الاستعداد التام لقبول
الفساد بل ووجدت طبيعته مائلة الى الشر واخلاقه مجردة من

الصلاح والفلاح

وربما يسألك القاريء عن سبب التصاق تلك الاوصاف بالامير برقوق
مع انه من عائلة شريفة النسب كريمة الحسب وفي أرقى العائلات جاها
وأغزرها مالا فضلا عن كونه نجل اكبر وزير وتربية رجل جليل خطير
كان يجدر به ان يحلي بأداب الامراء ولا يسمي بالفساد في العائلات ولا
يستخدم مثل عجوز السوء في ايذاء وحيدة اهله ومهجة حبيها السيدة
جول.

فتجيبه والاسف علي علي يراعنا والحزن ملاأفقدتنا : نعم وان كان
هذا الامير حائزا لجميع تلك الصفات وهاتيك الدرجات ولكن هكذا

تكون حالة من اهل تربيته . وهكذا تصير اخلاق من عوده امله على
الترفة والتشبيب على الدلال . . . ولا عجب من ذلك ولا استغراب !! حيث
سمعنا بل ورأينا في عصرنا هذا المتشجع بأوشية العجائب والغرائب على ان ابناء اغاب
انما ائلات الشهيرة . . . حينما يبلغون سن الرشد ويلجئون دور الرجال ويندرجون
في سالك الشيبية يتهاقون على الاعمال المنكرة ويتزاحمون على الافعال المحرمة
(تهافت الذباب على المكروهات وتزاحم على "القاذورات") بل ويفتخرون بتلك القبايح
والرذائل التي يسمونها في عرفهم بكلمة (موضه) ويلقبونها في اصطلاحهم بالمفظة
(حريه) او بعبارة اخرى . الاسم تمدن وتفرنج والقول منه وغرور

اذ المرء ضيع ما امكنه ومال الى التيه واستحسنه

فدعه فقد ساء له بيره سيضحك يوما ويكي منه

نعم نرى ذلك . لان الفرد منهم خصوصا . انتمسه الحظ بوقاة والديه لا يكاد ان
يفرغ من ايام حداثته ويستولى على ما تركه له من الاملاك . ويتصرف بما خزن امله . من
الاموال حتى تهجم عليه ذئاب السوء وتحوم حوله ثعالب النفاق الذين يكونون
متربصين لهذا الجاهل البسيط تربص (السنابرة الى الغار) وكثيرا ما يكون هؤلاء
الثلاث من وكلاء الدوائر ذوي الاصل السافل . . . الذين لا يهمهم غير ابتزاز الاموال
وبناء القصور . . . بهد خراب تلك الديار . . . فيجذبون هدا المسكين بأزمة مكرم
ويسحبونه كالبهيم بمقود احتياهم ويرتمون به في ميدان المضلل ويسبحون معه
في بحار المهلكات واخيرا يفوضون ثروتهم في اعماق الاضمحلل

اذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيد النعم

فيصبح المسكين صفر اليدين خالي الجيبين ولا يجني من ثمرات
طيئه هذا وغروره غير اقبح الاخلاق وأرذل الطبائع فيندم ولات

ساعة مندمر ويحسر ويتأسف ويندب ويتأوه .. ولكن هيهات هيهات
 .. فما مضى قد انقضى وما فات قد ملئت . ألم يكن سبب انقياد هذا
 الجاهل لهؤلاء القوم المفسدين والسامسة المحتملين هو الاهمال في
 التربية من الصغر فانه لو كانت تربيته على منهاج الجد مجردة من عوامل
 الدلع والدلال اللذان يسميها ابواه بالشفقة والحنو لما كان التفت ولاصفي
 لاقوال اولئك الخسرة المغررين ولله در من قال

وينشأنا شيء القتيان منّا على ما كان عوده أبوه

أفلم نشاهد بعض شباننا الذين يتربون من الصغر على اجمل الاخلاق
 واشرف الطباع ويشبون كما عودهم آباؤهم على منهج الاستقامة يصدون
 اولئك الفجرة بدروع حكمهم وقيموون في وجوههم حصن آدابهم حقيقة
 لا يكون العلى مثل الذي لا ولاذو الدكا مثل النجي

ولكن يا للأسف هم بالنسبة لاولئك الجبهة المغرورين كالواحد الالف بل قل
 للمليون وحيثند فلا غرابة في أن امتطي برقوق مطية بهيمته وعدسيه
 بها نحو باب الطيش مليا نداء الشيبية ومطيما لداعي الوطوع المشوب
 بالفرض السافل فلا عتب على نتائج الاهمال ولنتخلص من هذا الموضوع
 العميق الذي لاتسمه المجلدات وندخل دار الاشرار فترى تلك المعجوز
 الشمطاء والحية الرقطاء جالسة على مقعد وبجانبها الامير الجاهل برقوق
 صاغيا لاقوالها مطيما لاواصرها وهو بين يديها كالا آلة الصمأ تديره كيفما
 شاءت وتحركه حسبما اختارت وبالبعد عنهما يبضع خطوات ترى شخصا
 جالسا طويل القامة اسمر اللون تلوح على حياء دلائل المكر وتسطع من
 مقلتيه اشعة الدهاء والفساد وكان هذا الشخص يدعى (احمد ابن المدبر)

وهو نديم الامير برقوق وسيكون له دور مهم علي مسرح روايتنا يمثل فيه الذئبة وخبث الطوية

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخبر
وكان الامير برقوق في تلك اللحظة لو نظره القارىء لا يكاد يعرفه
لانقلاب سجنه وتغير هيئته لانه والى اذ بالله قد سرى داء الحسد في عروقه
وطاف عرق الحقد علي جسمه فكساه لونا من الاصفرار مزوجا بالسواد
ان الحسود الظالم في كرب يخاله من يراه مظلوما
ذا نفس دائم علي نفس يظفر منها ما كان مكتوما
هدا مع انه هال عقله وتبلبل افكاره اللذان بالهما من جريانه في طريق
القدر والسدوان وفي هذه البرهة كان يخاضب استاذة الفرور
ومعلمة الفتن بما هو آت

ألم تدري يا أماء ماجد من الاخير وحدث من الامور التي ستكون ولا
شك عقبة كبيرة في طريقنا وسبيل ثقيلا في مر قلة مساعينا
— اعوذ بالله ايها الامير من شر هذا الخير... فما هي تلك الامور
التي ظهرت تأثيراتها بسرعة علي محياك الجميل فدني لقد كدرت صفو عيشي
حيث أراك كاسف البال مرتبك الأفكار

— هي والله مصيبة كبرى وطامة عظمى ولقد صدق من قال
ما كل ما يتمني المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن
— لقد ازعجتني وغيرت خاطري وبللت فكري بهذا الحديث المفجع
فمجل وفدني بجلية الخير.. وما استتر بضميرك تحت سجاف الفرع الاليم
اهل اطلع احد علي اعمالنا وانكشفت له اسرارنا؟

- لا اعني ذلك بل هي امور حدثت مكس ارادتنا وخطب جل برهن لنا

علي ان احمد بن طولون سميد الخط وجميل البخت

- يخ يخ ايها الامير .. فن هو ابن طولون .. لا شك ان الغيرة

الاستك حلة من الجنون

- لا تهزني ايها السيدة بما سألقيه عليك واصفني جيداً كي تمذربي ثم

قال بعيون باكية وزفرات متصاعدة .. اعلمي ان امير المؤمنين قد خلع الامير

عرفان ابن مزاحم من منصب ولاية الديار المصرية لعدم استقامته ووجهها

لوالدي الوزير بابكيال

- حسن حسن هذه بشرى سميدة ومنة عظيمة

- بالله عليك لا تقولي بشرى ومنة بل هي داهية ومصيبة ... لان والدي

عزم علي ارسالي الي نك الاقطار كي ادير ادارتها والاحظ شؤونها

حقيقة انك جاهل بطوالع الامور .. اهل ار تقاؤك لتلك الدرجة

واستيلائك علي هذا المنصب عدته من الدواهي والمصائب !!!

تغرب عن الاوطان في طاب الملا وسافر ففي الاسفار خمس فوائد

تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجد

فان قيل في الاسفار ذل وغربة وتشيت شمل واجتماع شذائد

فوت الفتى خير من حياته بداره وان بين واش وحاسد

- كلاماً هذا قصدي بل الذي كدربي وحير افكارى ... هو كيف

أذهب الي تلك البلاد البعيدة تاركا عدوى الألد وشريكى المستبد ابن

طولون يخلوله الجو فيسرح مطمئن الخاطر هاذي البال .. وربما ساعدته

المقادير فيقترب بمحبة القلب ومنية الفؤاد ...

- اطرح من ذهنك هذه التصورات ولا تخش من هذا الامر سوء
حيث دون ذلك خرط القتاد ولو انقلب الكون بالعباد
- كيف ذلك خبرني عما هنالك .. قال ذلك وارتدى عليها
باكيا مستغيثا

- فتأثرت الهجوز من منظره الحزن وانتهته قائلة . شجع نفسك
وهدي . روعك فكل صعب يتدبيري يهون
- وما هو مقدار التدبير عجبي بالافادة رعاك الله
- ارجوك ان لا تخالف اوامر ابيك الوزير بل اظهر كل فرح وسرور
لهذا المنصب الجليل واشتياقك المفرط لذلك السفر السعيد لان سيكون
السبب الوحيد في قائدتك والبرهان ان اطاع على قرب سماعتك
- فقاطمها الامير برقوق وقال وهو شاخص بنواظره في
وجهها : ولماذا ؟

- لكون والدك لا يمكن ان يبعثك الا وصحبتك قوة عسكرية
لاجل حراستك أولا ولكي تساعدك على نظام الاحوال وتدير
الاعمال ولما يشرع في ذلك اطلب منه ان يكون قائد تلك الجنود
ورئيسها أحمد بن طولون مظهرا له محبته الصادقة مادما له في أطواره
وصناته فبالضرورة والدك لا يتأخر عن اجابة طلبك خصوصا وان أحمد بن
طولون قد اشتهر بالقوة والشجاعة واتصف بالنباهة والقراءة فلما تصلوا
سوية الي هاتيك الافطار وتسلمت أنت زمام الاعمال وتجلس على
منصة الاحكام تفعل كل طريقة في استمالة قلوب الاهالي وبالاخص
العلماء والقواد وبذل الجهد مع الدرهم والدينار حتي تصير نفسك محبوبا ومحترما

ان الدراهم في الاماآن كلما تكسو الرجال مهابة وجمالا
 فهي اللسان لمن اراد فصاحة وهي السلاح لمن اراد فتالا
 وبذلك الوسائط تمكن من عدوك ابن طولون بل ويمكنك ان توقعه في
 وهذه الهلاك وتمحو أثره من عالم الوجود وبوقاته يسهل عليك الاقتراح
 بمحبوبتك وممشوقتك السيدة جول حيث أكون قد مهدت لك السبل
 بأسعاري وساعدتك بمعارفي واحتياالي ٠٠٠

ولما فرغت المجوز من كلامها رفع رأسه ذاك الشقي ابن المدبر الذي
 كان حاول تلك المدة غارقا في بحار السكوت والتفت نحو الامير قائلا ..
 تالله ايها الامير ان هذا التدبير هو عين الصواب فلا احرمنا المولي من
 ثاقب آرائها ودرر افكارها لانها وأنتم الحق لالهة في النباهة والذناء ..
 وكان ابن المدبر ما مدح المجوز الا لاجل غاياته الدنيئة لان كلامها
 وقع عنده موقع الاستحسان وزينت له نفسه الامارة بالسوء حلاوة
 التدر ولا انتقام حيث كان لا يهتم هذا الخبيث غير الاضرار بالعباد

فلما سمع الامير يرقوق كلام المجوز وانطباقي افكار نديمه الكثيفة
 لافكارها ظهرت على ملامحه علامات السرور وآيات الانشراح وقال
 وهو يكاد أن يطير فرحا ويصفق طربا .. نعم الرأي رأيك ياأماء فلاله
 درك من عاقلة صارت الدمر فكديته وما رست الزمان فمرفتيه وانك
 لفي الحقيقة آية من الآيات حيث بتدبيرك هذا انتشاني من شر المحوم
 والاحزان فشكرا لك شكرا

سأشكر نعماك التي لو جعلتها أقربها حالي ونم بها سري
 وفي حسن حال الروض أعدل شاهد يقر بما أسدت اليه يد القطر

وبعد ان انخدع المفرور بما سولت له ام الشرور فأمل ضميره المفتون
 بالحصول على امانيه اذاقة عدوه المنون وانحنى ثملاً بنحر المفرور بين
 يدي تلك الشوهاء فهزت المجوز اعطافها بكبرياء وانتفخ جسمها من
 هذا المديح والاطراء وقالت نعم نعم هذا هو الحل الوحيد والرأي السديد
 ثم رفعت صوتها مترنمة بقول اشاعر

واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لا تستطعمه الاوائل

— اذا نستمتع بك ياأمانه في القيام لكي تدبر مأسرتي به ونسعي
 في نوال المراد.. قال ذلك الامير برقوق وانتصب قائماً للذهاب فاجابته
 المجوز على صرامه وخرج ومعه احمد بن المدبر قاصدين الامير بابكيال
 وهما يتشاوران عن كيفية الانتقام ويدبران المكائد ومازالا هكذا في
 تصورات عقيمة وأفكار سقيمة حتي وصلا الي مركز الوزير الرسمي
 بالديوان الملكي

فدخل عليه نجله وقبل يديه ثم جلس بجانبه وبعد برهة قال ..متي
 يكون السفر ياواليدي ؟

— في أي وقت تريد وتختار

— اذا استعس من حضرة الولد فيكون يوم السبت تقاسم لأنه يوم

مبروك والسفر فيه ميسر

— فليكن ذلك يا بني

— حينئذ فلا استعد واجهز لوازم الرحيل

— نعم استعد لاني سأخبر قائد الجيوش كي يجهز لك (أوردى) من

الفرسان ليكون في خدمتك ويساعدك على أعمالك

- أظن يا حضرة الولد لو كان الأوردي تحت قيادة عزيزي ابن طولون يكون أتم

- وأنا كنت مفتكرا ذلك أيضا لأن ابن طراون شاب مستقيم مهذب وله مهارة تامة في تدبير الأمور فضلا عن شجاعته في اقتحام الأخطار فتأمل الأمير برقوق من تلك الأوصاف واغناظ من هذا المديح ولكنه اخفي انفعاله وقال بحماسة

- وأنا قد قضت مرافقته لهذا السبب وسأصطحب أحمد بن المدير أيضا لأنه لا يمزب عن خاطرك الشريف ما هو عليه من المهارة في فن الكتابة ودرايته بعلم الحساب

- فلما سمع الأمير من نجله هذا الاقتراح سرّ سرورا عظيما خصوصا وقد بدت له من أفكار نجله بارقة النجابة التي كان لا يتصورها فيه قبل الآن ولم يدر أن هذه النجابة نتيجة قضايا العشق الفاسد وستجر عليه ويلات المناسد ويدهم نجيها بنجب البلايا ويخس طالمه ويكفر جو مستقبلة بالرزايا . ولكن هي سلامة الحنان الأبوي وباعث الاشتياق القطري قادت الوزير أعمى وخيلت له أنه لم يكن في الأمر معمي ففي الحال نادى بأحد الخدمه وناولهم مظروفا بعد أن سطر فيه ما نصه

عزيزي الشهم الحمام والبطل الضرغام

حيث صدرت ارادة امير المؤمنين السنية بجعل الديار المصرية تحت تصرفنا وقد عزمنا على ارسال نجلنا الامير برقوق ليكون واليا على الحراج والاعمال الادارية فالامل للتنبيه على احدى الفرق العسكرية بالاستعداد لتقوم

بالشؤون العسكرية وليكن أحمد بن طولون قائدهما ومدير حركاتهما
(بابكيال)

فاخذته الخادم وجد في السير حتى وصل ديوان الجهادية ومركز الأعمال
الحرية وهناك سلمه لائقا العام ولما احتاط هذا بما حواه ارسل في الحال
احد الفرسان بتدكرة يدعوه بالامير احمد بن طولون بعد ان حرر للوزير يقول
سيدي الامير الجليل ودولة الوزير الخطير

بنأ علي امركم السامي قد نذبه حالا علي الاوردي الماسر من الفرسان ليكون
علي امانة السفر

وسيكون قائده أحمد بن طولون وحيث ان المذكور قائد من الدرجة
الثالثة وبها لا يجوز استلامه قيادة أوردي كما هو معلوم فالامل ترقية
الي الدرجة الثانية تماما للمرجوب أفندم (أبو الفتح)

ولما وصل هذا الخطاب ليد الوزير أصدر أمره حالا بترقية ابن
طولون بعد ان صدق عليه من أمير المؤمنين وصار الامير ابن
طولون من ساعتها قائد أوردي بعد ان كان قائد فرقة صغيرة وكانت
عدة الاوردي ألفي جندي ورتبة رئيسه تماثل رتبة (أمير آلاي الآن)
فسيبعان الحنان المنان

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها السان حسود
لولا اشتغال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود



—*— انفصل الثامن —*—

﴿ هيهات تكتم في الظلام مشاعل ﴾

ومن رام أمرا والخطوب مطية فحاحيته الانسان الاركوها
ومن سالم الايام في حين عسره وان لم تن هانت عليه حروبها
في اليوم العاشر من شهر ذى القعدة سنة (٢٥٤) كان القوم
مترجلين جميعا على أهبة السفر حيث كنت تري خارج أسوار مدينة بغداد
فران الاوردي العاشر مصطبة بأبهج ترتيب ونظام عجيب وأمامهم
بطل روايتنا الفيور والشهم الجسور الامير أحمد بن طولون وهو
ممتط صهوة جواد أدهم بفرقة بيضاء كالدرهم وهو يتميل عليه عجا
بما من الله عليه من الحسن والكمال والادب والجمال

وكم أبهرت من حسن ولكن . عليك من الوردى وقع اختياري
غير انه أدرك الحيلة وما دبره أعداؤه له من المكائد ونصبوا من
الاشراك والمصائد فكاد ان يتميز غيظا من أعدائه الذين خلقوا له هذا
الذهاب ومفارقة الاحباب فطرأين هجته وباعث حرقته على فرقة

تذكرت أيام الوصال بقربكم فويح قلبي بالفراق طيب
قوائله ما فارقتمكم بارادتي ولكن تصريف الزمان غريب
سلام وتسلم وألف تحية عليكم واني مدنف وكثير

وكان بجانبه الامير برقوق وهو على ظهر حجرة أصيلة ودرقية
نتية دلالة بما عليها من المجوهرات وبالقرب منه الغادر أحمد بن
المدير وهو لهلاك أحمد بن طولون يفكر وكان منظرهم في تلك اللحظة من

تكون حالة من اهملت تربيتيه . وهكذا تصير اخلاق من عوده امله على
الترفه والتشبيب على الدلال . . . ولا عجب من ذلك ولا استغراب !! حيث
سمعت ابل ورأيت في عصرنا هذا المتشجع بأوشية العجائب والفرائب على ان ابناء اغلب
انما ثلاث الشهيرة . . . حينما يبلغون سن الرشد ويأجرون دور الرجال ويندرجون
في سلك الشيبية يتمافتون على الاعمال المنكرة ويتزاحمون على الافعال المحرمة
(همافت الذباب على المكروهات وتزاحم على "مأذورات") بل ويفتخرون بتلك القبائح
والرذائل التي يسمونها في مرقم بكلمة (موضه) ويلقبونها في اصطلاحهم بالنقطة
(حريه) او بعبارة اخرى . الاسم تمدن وتفرنج والقبل سفه وغرور

اذالمره ضيع ما امكنه ومال الي التيه واستحسنه

فدعه فقد ساء ته ييره سيضحك يوما وبكي سنه

نعم نرى ذلك . لان الفرد منهم خصوصاً من اتهمه الحظ بوقاة والديه لا يكاد ان
يفرغ من ايام حداذه ويستولى على ما تركه من الاملاك ويتصرف بما خزنه له من
الاموال حتى تهجم عليه ذئاب السوء وتحوم حوله ثعالب النفاق الذين يكونون
متربصين لهذا الجاهل البسيط ترهبس (السنابير الى الفار) وكثيرا ما يكون هؤلاء
اللقام من وكلاء الدوائر ذوي الاصل السافل . . . الذين لا يهتمهم غير ابتزاز الاموال
وبناء القصور . . . بعد خراب تلك الديار . . . فيجذبون هذ المسكين بأرمة مكرهم
ويسحبونه كالبهيم عمود احتياهم ويرتمون به في ميدان الضلال ويسبحون معه
في بحار المهلكات واخيرا يفوضون بروتة في اعماق الاضمحلال

اذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم

فيصبح المسكين صفر اليدين خالي الجيبين ولا يحني من ثمرات
طيئه هذا وغروره غير اقبح الاخلاق وأرذل الطبائع فيندم ولات

ساعة مندم ويتحسر ويتأسف ويندب ويتأوه .. ولكن هيهات هيهات .. فما مضى قد انقضى وما فات قد مالت . ألم يكن سبب انقياد هذا الجاهل لهؤلاء القوم المفسدين والسامسة المحتالين هو الاهمال في التربية من الصغر فانه لو كانت تربيته على منهاج الجدد مجردة من عوامل الدلع والدلال اللذان يسميها أبواؤه بالشفقة والحذولما كان التفت ولاصغى لاقوال اولئك الحسرة المغريرين والله درمن قال

وينشأنا شيء القتيان منا على ما كان عوده أبوه

أفلم نشاهد بعض شبائنا الذين يتربون من الصغر على اهل الاخلاق واشرف الطبائع ويشبهون كما عردهم آباؤهم على منهج الاستقامة يصدون اولئك الفجرة بدروع حكمهم وقيمون في وجودهم حصن آدابهم حقيقة لا يكون العلى مثل الذي لا ولاذو الذنا مثل الغبي

ولكن باللاسف هم بالنسبة لاولئك الجملة المغرورين كالواحد للالف بل قل للمليون وحينئذ فلا غرابة في أن امتطي برقوق مطية بهيميته وعدسيه بها نحو باب الطيش مليا نداه الشيبية ومطيمها لداعي الوطوع المشوب بالغرض السافل فلا كتب على نتائج الاهمال ولنتخلص من هذا الموضوع العميق الذي لاتسمعه المجلات وتدخل دار الاشرار فترى تلك العجوز الشمطاء والحية الرقطاء جالسة على مقعد وبجانها الامير الجاهل برقوق صاغيا لاقوالها مطيما لا وامرها وهو بين يديها كالألة الصماء تديره كيفما شاءت وتحركه حسبما اختارت وبالبعد عنهما يبضع خطوات ترى شخصا جالسا طويلا القامة اسمر اللون تلوح على محياه دلائل المكر وتسطع من مقلنيه اشعة الدهاء والفساد وكان هذا الشخص يدعى (احمد ابن المدبر)

وهو نديم الامير برقوق وسيكون له دور مهم علي مسرح روايتنا يمثل فيه الدماء وخبث الطورية

لا تسأل المرء عن خلافته في وجهه شاهد من الخبر
وكان الامير برقوق في تلك اللحظة لو نظره القارىء لا يكاد يعرفه
لانقلاب سحته وتغير هيئته لانه والى اذ بالله قد سرى داء الحسد في عروقه
وطاف عرق الحقد علي جسمه فكساه لونا من الاصفرار مزوجا بالسواد
ان الحسود الظالم في كرب يخسأه من يراه مظلوما
ذا نفس دائم علي نفس يظهر منها ما كان مكتوما
هدأ مع انهال عقله وتبلبل افكاره اللذان بالهما من جريانه في طريق
القدر والمعدوان وفي هذه البرهة كان يخاطب استاذة الغرور
ومعلمة الفتن بما هو آت

ألم تدري يا أماء ماجد من الاخير وحدث من الامور التي ستكون ولا
شك عاقبة كبيرة في طريقنا وسبيل ثقبلا في مر قلة مساعينا
— اعوذ بالله ايها الامير من شر هذا الخبر... فما هي تلك الامور
التي ظهرت تأثيراتها بسرعة علي محياك الجميل فدني لقد كدرت صفو عيشي
حيث أراك تأسف البال مرتبك الأفكار

— هي والله مصيبة كبرى وطامة عظمى ولقد صدق من قال
ما كل ما يتمي المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن
— لقد ازعجتني وغيرت خاطري وبلبلت فكري بهذا الحديث المفجع
فمجل وفدني بجلية الخبر.. وما استتر بضميرك تحت سجاف الفزع الاليم
اهل اطلع احد علي اسمائنا وانكشفت له اسرارنا؟

- لا اعنى ذلك بل هي امور حدثت عكس ارادتنا وخطب جليل برهن لنا
علي ان احمد بن طولون سعيد الحظ وجميل البخت
- بنح بنح ايها الامير .. فن هو ابن طولون .. لا شك ان الغيرة
الاستك حلة من الجنون

- لا تهزني ايها السيدة بما سألقيه عليك واصغني جيدا كي تعذرني ثم
قال بميون باكية وزفرات متصاعدة .. اعلمي ان امير المؤمنين قد دخل الامير
عرفان ابن مزاحم من منصب ولاية الديار المصرية لمدم استقامته ووجهها
لوالدي الوزير بابكيال

- حسن حسن هذه بشرى سعيدة ومنة عظيمة
- بالله عليك لا تقولي بشرى ومنة بل هي داهية ومصيبة ... لان والدي
عزم علي ارسالك الي تلك الافطار كي ادير ادايتها والاحظ شؤونها
حقية - انك جاهل بطوالع الامور .. اهل از تقاؤك لتلك الدرجة
واستبلاؤك علي هذا المنصب عدته من الدواهي والمصائب !!!

تقرب عن الاوطان في طاب الملا	وسافر في الاسفار خمس فوائد
نفرج هم واكتساب معيشة	وعلم وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل وغربة	وتشتيت شمل واجتماع شدائد
فمرت الفتى خير من حياته	بدار هوان بين واش وحاسد

- كلاما هذا قصدي بل الذي كدرني وحير افكارى ... هو كيف
أذهب الي تلك البلاد البعيدة تاركا عدوى الألد وشريكي المستبد ابن
طولون يحاول له الجوف فيسرح مطعن الخاطر هاذي البال .. وربما ساعدته
المقادير فيقترن بحبوبة القلب ومنية القواد ...

- اطرح من ذهنك هذه التصورات ولا تخش من هذا الامر سوء
حيث دون ذلك خرط القتاد ولو انقلب الكون بالعباد
- كيف ذلك خبريني عما هنالك .. قال ذلك وارتمى عليها
باكيا مستغيثا

- فتأثرت الهجوز من منظره المحزن وانقضت قائلة : شجع نفسك
وهدي روعك فكل صعب بتدبير يهون
- وما هو مقدار التدبير عجلى بالافادة رعاك الله
- ارجوك ان لا تخالف اوامر ابيك الوزير بل اظهر كل فرح وسرور
لهذا المنصب الجليل واشتياقك المفرط لذلك السفر السعيد لان سيكون
السبب الوحيد في قائدتك والبرهان اناساطع على قرب سماعتك
- فقاطمها الامير برقوق وقال وهو شاخص بنواظره في
وجهها : ولماذا ؟

- لكون والدك لا يمكن ان يبعثك الا وصحبتك قوة عسكرية
لاجل حراستك أولا ولكي تساعدك على نظام الاحوال وتدير
الاعمال ولما يشرع في ذلك اطاب منه ان يكون قائد تلك الجنود
ورئيسها أحمد بن طولون مظهرا له محبته الصادقة مادما له في أطواره
وصناته فبالضرورة والدك لا يتأخر عن اجابة طلبك خصوصا وان أحمد بن
طولون قد اشتهر بالقوة والشجاعة واتصف بالنباهة والفراسة فلما تصلوا
سوية الي هاتيك الافطار وتسلم أنت زمام الاعمال وتجلس على
منصة الاحكام تفعل كل طريقة في استمالة قلوب الاهالي وبالاخص
العلماء والقواد وبذل الجهد مع الدرهم والدينار حتي تصير نفسك محبوبا ومحترما

ان الدراهم في الامان كلها تكسو الرجال مهابة ونجالا
 فهي الامان لمن اراد فصاحة وهي السلاح لمن اراد فتالا
 وبذلك الوسائط تمكن من عدوك ابن طولون بل ويمكنك ان توقعه في
 هذه الهلاك وتمحو اثره من عالم الوجود وبوفاته يسهل عليك الاقتران
 بمحبوبتك ومشوقتك السيدة جول حيث اكون قد مهدت لك السبل
 باسحاري وساعدتك بممارفي واحتيالي ...

ولما فرغت المجوز من كلامها رفع رأسه ذلك الشقي ابن المدبر الذي
 كان طويل تلك المدة غارقا في بحار السكوت والتفت نحو الامير قائلا..
 تالله ايها الامير ان هذا التدبير هو عين الصواب فلا احرمنا المولي من
 ثاقب آرائها ودرر افكارها لانها وئيم الحق لاهة في النباهة والذناء ..
 وكان ابن المدبر ما مدح المجوز الا لاجل غايته الدنيئة لان كلامها
 وقع عنده موقع الاستحسان وزينت له نفسه الامارة بالسوء حلاوة
 الندى ولا انتقام حيث كان لا يهم هذا الخبيث غير الاضرار بالعباد

فلما سمع الامير برقوق كلام المجوز وانطباع افكار نديعه الكثيفة
 لافكارها ظهرت على ملائحه علامات السروز وآيات الانشراح وقال
 وهو يكاد ان يطير فرحا ويصفق طربا .. نعم الرأي رأيك يا أماء فله
 درك من عاقلة صارمت الدمع فكديته وما رست الزمان فمرفيه وانك
 لفي الحقيقة آية من الآيات حيث بتدبيرك هذا انتشاني من شر الهموم
 والاحزان فشكرا لك شكرا

سأشكر نعماك التي لو جددتها أقربها حالي ونم بها سري
 وفي حسن حال الروض أعدل شاهد يقر بما أسدت اليه يد القطر

وبعد ان انخدع المفرور بما سوت له ام الشرور فامل ضميره المفتون
بالحصول على امانيه اذاقة عدوه المنون وانحنى ثملابخمر الفرور بين
يدي تلك الشوهاء فهزت العجوز اعطافها بكبرياء وانتفخ جسمها من
هذا المديح والاطراء وقالت نعم نعم هذا هو الحل الوحيد والرأي السديد
ثم رفعت صوتها مترنمة بقول اشاعر

واني وان كنت الاخير زمانه لاآت بما لا تستطعه الاوائل

- اذا نستسمعك ياأماه في القيام لكي ندبر ماأمرتي به ونسعي
في نوال المراد.. قال ذلك الامير برقوق وانتصب قائما للذهاب فاجابته
العجوز على مرامه وخرج ومعه احمد بن المدبر قاصدين الامير بابكيال
وهما يتشاوران عن كيفية الانتقام ويدبران المسكائد ومازالا هكذا في
تصورات مقبحة وأفكار سقيمة حتي وصلا الي مركز الوزير الرسمي
بالديوان الملوك

فدخل عليه نجله وقبل يديه ثم جالس بجانبه وبعد برهة قال .. متى
يكون السفر ياوالدي؟

- في أى وقت تريد وتختار

- اذا استعسح حضرة الولد فيكون يوم السبت تقادم لأنه يوم

مبروك والسفر فيه مسمود

- فليكن ذلك يا بني

- حينئذ فلاأستعد واجهز لوازم الرحيل

- نعم استعد لاني سأخبر قائد الجيوش كي يجهز لك (أوردى) من

الفرسان ليكون في خدمتك ويساعدك على أعمالك

- أظن يا حضرة الولد لو كان الأوردى تحت قيادة عزيزي ابن طولون يكون اتم

- وأنا كنت مفتكرا ذلك ايضا لان ابن طولون شاب مستقيم مذهب وله مهارة تامة في تدبير الامور فضلا عن شجاعته في اقتحام الاخطار فتعامل الامير برقوق من تلك الاوصاف واغناظ من هذا المديح ولكنه اخفي انتماله وقال بحماسة

- وانا قد فضلت مرافقته لهذا السبب وسأصطحب احمد بن المدير ايضا لانه لا يعزب عن خاطرك الشريف ما هو عليه من المهارة في فن الكتابة ودرايته بعلم الحساب

- فلما سمع الامير من نجله هذا الاقتراح سر "مرورا عظيما خصوصا وقد بدت له من افكار نجله بارقة النجاة التي كان لا يتصورها فيه قبل الآن ولم يدر أن هذه النجاة نتيجة قضايا المشق الفاسد وستجر طيه ويلات المناسد ويدمحر نجيها بنجب البلايا وينحس طالعه ويكفر جو "مستقبله بالرزايا ولكن هي سلامة الخناق الابوى وباعث الاشفاق الفطرى قادت الوزير انعى وخيل له انه لم يكن في الامر ممعبي ففي الحال نادى بأحد الخدمه وناولهم مظروفا بعد ان سطر فيه ما نصه

عزيزي الشهم المحام والبطل الضرمام

حيث صدرت ارادة امير المؤمنين الالهية بجعل الديار المصرية تحت تصرفنا وقد عزمنا على ارسال نجلنا الامير برقوق ليكون واليا على الخراج والاعمال الادارية فالامل التنبه على احدي الفرق العسكرية بالاستعداد لتقوم

بالشؤون العسكرية وليكن احمد بن طولون قائدها ومدير حركاتها
(بابكيال)

فاخذته الخادم وجد في السير حتى وصل ديوان الجهادية ومركز الاعمال
الحربية وهناك سلمه لائقه الامر ولما احتاط هذا بما حواه ارسل في الحال
احد الفرسان بتذكير يدعوه بالامير احمد بن طولون بعد ان حرر للوزير يقول
سيدي الامير الجليل ودولة الوزير الخطير

بأن علي اسرهم السامي قد نذبه حالا علي الاوردي الماشر من الفرسان ليكون
علي اهبة السفر

وسيكون قائده احمد بن طولون وحيث ان المذكور قائد من الدرجة
الثانية وبها لا يجوز استلامه قيادة أوردي كما هو معلوم فالامل بترقيته
الي الدرجة الثانية اتعاضا للمرغوب أفندم (أبو الفتح)

ولما وصل هذا الخطاب ليد الوزير أصدر أمره حالا بترقية ابن
طولون بعد ان صدق عليه من أمير المؤمنين وصار الأمير ابن
طولون من ساعتها قائدا أوردي بعد ان كان قائدا فرقة صغيرة وكانت
عدة الاوردي ألفي جندي ورتبة رئيسه تعادل رتبة (أمير آلاي الآن)
فسيجوز الخصال المنان

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها السان حود

لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف المود



— الفصل الثامن —

هو هيهات تكتم في الظلام مشاعل

ومن رام أسرا والخطوب مطية فساحينة الانسان الاركوها

ومن سالم الايام في حين عسره وان لم تن هانت عليه حروبها

في اليوم العاشر من شهر ذي القعدة سنة (٢٥٤) كان القوم مترحلين جيما على أهبة السفر حيث كنت تري خارج أسوار مدينة بغداد فر-ان الاوردي العاشر مصطبة بأبهج ترتيب ونظام عجيب وأمامهم بطل روايتنا الفيور والشهم الجسور الامير أحمد بن طولون وهو ممتط صهوة جواد أدهم بقرة بيضاء كالدرهم وهو يتمايل عليه عجبا بما من الله عليه من الحسن والكمال والادب والجمال

وكم أبصرت من حسن ولكن عليك من الوردى وقع اختياري

غير انه أدرك الحيلة وما دبره أعداؤه له من المكائد ونصبوا من الاشرار والمصائد فكاد ان يتميز غيظا من أعدائه الذين خلقوا له هذا الزهاب ومفارقة الاحباب فسطرأين هجته وباعث حريقته على فرقته

تذكرت أيام الوصال بقربكم فبيج قلبي بالفرام لهيب

فوالله ما فارقتكم بارادتي ولكن تصريف الزمان غريب

سلام ونسيم وألف تحية عليكم واني مدنف وكئيب

وكان بجانبه الامير برقوق وهو على ظهر حجرة أصيلة ودرة يتيمة نقيه دلالا بما عليها من المجوهرات وبالقرب منه الغادر أحمد بن المدبر وهو لهلاك أحمد بن طولون يفكر وكان منظرهم في تلك اللحظة من

أغرب المناظر وجوههم باسمه وقلوبهم طافحة بالحمد والصفاء
 والمين تعرف من ميني محدثها ان كان من حزب أو من أعانها
 وفيما هم على هذه الهيئة اذا بالوزير بابكيال ومن خلفه الجمل التغير من ذوات
 وأعيان وموظفين وحتام حضروا للتشيع والتوديع
 وبعد ان أقيمت الخطب الحماسية والمواظب الادبية ختمت حفلة الوداع
 وهبمت الجند بالدعاء لأمير المؤمنين وخليفة خاتم النبيين والمرسلين سيدنا
 محمد صلى الله عليه وسلم

محمد سيد الكونين والخلق
 فاق النبيين في خلق وفي خلق
 هو الحبيب الذي ترجى شفاعته
 لعل هول من الاهوال مقتحم
 وبعد ان ارتدت تلك الجموع بهد تبادل التحيات الودادية اخذ الامير برفوق
 ومن معه في المسير قاصدين الديار المصرية وبر النيل السعيد.

مامثل مصر في الوري بلدة سكانها ترتع في نعيمها
 نسيهم الطفشى في الوري وأهلها الطاف من نسيهم
 ربما يكون القارى قد ذهب عن خاطره أمر أحمد بن الواسطي خصوصاً حيث لم
 يره مع الراجلين مع كونه كاتب الامير أحمد بن طولون ونديمه الوحيد
 فتبينه بان سبب تخلفه عن رفقة الامير هو لداعي ملاحظة ذلك المجوز
 الساحرة والبحث عنها حتى تسنى له قتلها جزاء أعمالها هذه الغير المحمودة ...
 لانه بمهارة هذا الفتى وحسن درايته تمكن في اقرب زمن من كشف دسائس
 تلك الحيلة ووقف على جميع مآثرته وأحاط بكنه دخالها
 ولا يستغرب القارى من ذلك لان ابن الواسطي كان افرس امل زمانه اما

الصفة التي بواسطتها انجبت له حقيقة الامر هو انه نزول الخادم اولو من قلعة علاة
الدين قاصدا سيدته كما مر في غير هذا المسكان في الحال استئذن من سيد الامير
ابن طولون كي يبحث ويتجسس في مدينة بغداد ربما يثر على من فعل بالسيدة جول
تلك الافعال ورماها بمصائبه البحرية فصرح له ابن طولون بذلك لثقتة من
مهاره نديمه المميز : وقد كان لان ابن الواسطي غير زيه بهيئة غير مروفة وركب
جراد دقاطما به الطريق حتى وصل المدينة ومن هناك عرج على نهر الدجلة بعد ان
ترك الجواد بأحد الخانات

وبواسطة زورق استأجره طعم النهر وصار في البر الثاني وكان قصده من ذلك
ملاحظة حركات الامير برقوق ليس الا حيث يقول اولو الخادم دخلت في
مخيلته وحدثه نفسه بأن الفاعل هو نئس الامير برقوق نجمل الامير بابكيال
ولما وجد في تلك الجهة التفت يمينا ويسارا فلمح بالبعد من دار
الوزير قرية صغيرة متكونة من منازل بعض المزارعين فاتجه نحوها
وما كاد ان يقربها حتى صادفه رجلا فلاح يقود خافه بقرته الصفراء
المزينة عنده فحياه ابن الواسطي وأجابه المسكين على تحيته بفرائص ترمد
وجلا لظنه انه احد محبلى الوزير جاء يطالبه بالايجار

وقد لحظ منه ذلك ابن الواسطي فتقرب نحوه بوجه بشوش وأخذ
يلافظه ويسوسه بالفاظ عذبة حتى اطمأن الفلاح وزال الوهم عنه حيثئذ
افهمه بقصده ولكن بطريقة غريبة دخلت على عقل هذا الرجل البسيط
اسوس بسيطا كي انال به قصدى فيسمى معي نحو الما رب يستجدى
وما ضرتني ذلك البسيط بوجهه ولكنما سحره لجوز به وجدى
وكان ابن الواسطي أوراها بان سبب مجيئه لهذه الجهة هو بأمر من الوزير

بابكيال ولكن للملاحظة حركات نجمله برقوق حيث بلغه ان اناسا من
المفسدين اغروه على تعاطي المسكرات وفعل الموبقات وقد اتخذوا هذه
الجهة مآل هذه الافعال المذمومة

فصدقه ذلك الدلاح وعاهده علي ان يخفي هذا الحديث حتى عن زوجته
المحبة وقد تباطئ فيه وذهب به لي قاعته وقد بات بها ابن الواسطي
حتى اصبح الصباح وبرزت الشمس وانبعثت اشعتها الذهبية علي تلك
القحول والفيضان فتكسب مزروعاتها نموا وروفا بهيجا فخرج من
الدار وتوغل في تلك المروج يستنشق نسيمها اللطيف وروائحها الزكية
ولكن كانت نواظره شاخصة علي الدوام نحو دار الامير بابكيال

وبعد مضي ساعة زمانيه جلس بجوار جدول ماء مخفيا خلف شجرة
سميكة بحيث يري غيره وهو لا يري وبينما هو يمدح زناد فكرته
معملا نفسه بيلوغ الارب اذ لمح ثلاثة اشباح خارجة من دار الوزير
ففحق فابه وحدثته نفسه بانه لا بد من وجود برقوق بين هؤلاء الاشباح
حينئذ قام متصفا وسار يتقدمها الي ان اقتربت تلك الاشباح من
تلول وبها اختفت عن نظره فجده في السير حتي وصل الي هذا المكان
وتفرس فيه بدقة وبعد برهة عثر علي باب دار صغيرة فأدرك بأنهم دخلوها
ولكن خشي ولوجه فيها فيستشعر به من يهد المكان فرمى تسوء لرجمة وينمكس
الاول ولا ينال اربا - انما اخذ يدبر حيلة يستطاع بها اعمالهم وكنسه
ماهم عليه وما يعملون

فوقف فايلا ثم اقترح علي نفسه ان يصعد فوق الاكمة المبنية تحنها
الدار ربما يجد نافذة تمكنه من الاستطلاع علي ما بداخلها ولقد أصابت

فكرته لان بصموده على تلك الآكام بواسطة تساقه على شجرة ملح نوافذ
صغيرة تقطع في احداها فظفر الامير برقوق جالسا وبجانبه المعجوز واما
مهما احمد بن المدبر وهم يتجادلون ويتجادلون

فرقت جوارحه طريا وكاد ان يصيح من مقام السرور ولكن
ثبت جاشه وجلس يسترق السمع بسكوت . وكان حديث المذكورين
بصوت كالمادة لثقتهم من عدم وجود خلافة وبذا تمكن ابن الواسطي
من سماع ما دار بينهم بدون مشقة ولا تعب . وغير خاف على الليب
موضوع الحديث حيث مر ذكره بالفصل السالف

ولما عزم الامير برقوق ومن معه على القيام كان ابن الواسطي اسرع
من ملح البصر حيث قفز فصار تحت الاكمة ومن شدة ما اعتراه من السرور
صاويهرول بخطوات فوق المادة الي ان قرب من شاطئ الدجلة واستأجر
زورقا واصله شاطئ المدينة

ولما وصلها اتجه نحو الخزان الذي ترك به جواده فامتطاه ولكزه
بقدميه حتى صيره يحاكي هبوب الريح في مسيره . وهكذا ما زال في
كرور كض لا يستريح الا مسافة تناول الطعام الي ان وصل قلعة
علاء الدين في زمن لا يتصور ان يقطعه خلافة مهما كان مجدا في السير

فتقابل مع الامير ابن طولون واطلعه على جلي الخبر واخبره بأسر
تديرهم على سفره الي الديار المصرية حتى يحيلهم ودسائسهم يتمكنون
من قتله وتصبح السيدة جول في قبضة يد الامير برقوق

فاهتز الامير غضبا وقال بعد ان شكر ابن الواسطي على تلك المهمة العاليه
والمنة العظيمة وما الذي رآه ايها العزيز في تلك المشكلة

— الذي اراه سفرك مع هؤلاء اللثام تحت شرط ان تخفى عدوانك وتودى انك طاقن عن جميع مقاصدهم ونواياهم مع المحاذرة والاحتراس من مكائدهم

— هذا هو قصدى وجل مرامى ايهما الصديق وثق بان توكل على الله عز وجل يضمن لى النصر عليهم ... ولكن كيف اترك حبيبة القواد ومنية الروح بين يدي تلك العجوز الساحرة تقبلها على بساط آلهما السحريه

— اتركني هنا ايها الامير لتلك الحبيبة لكي أريها عاقبة افعالها المحرمة واقتلها شر قتلة وبذلك تستريح السيدة جول وتطمئن ايضا قلوبنا لانها منيع الدساس ومفتاح الفتن

جزاء دساس المنايا منية يصير بها بين القبور معفرا

هذي عجوزكم ارتداء صائبا دهنتها من غير أن تدبرا

نعم لا يكون غير ذاك . وما فادان طولون يتم جملة الاخيرة حتى سمع وقع اقدام قائمة نحو الباب واذا به احد الرسل ويده مظروف فتناوله منه وقضه وقرأ ما يأتي

حضرة احمد ابن طولون

بوصول هذا الطرفكم يلزم حضوركم حالا الى مركز الجند الجموى لصدور الاوامر اليك بقيادة الاوردي الماشر الذاهب رفقة الامير برقوق الى الديار المصرية (ابو الفتح)

وبعد الفراغ من تلاوته التفت نحو ابن الواسطي قائلا . لقد تم تدبيرهم وهذا هو أمر السفر فما قولك ؟

قولي ! الاستعداد على السفر والنزول الى مدينة بغداد سويه فنسلم
حضرتك لاوردى واستلم اناتلك العجوز فلعلى أنال المراد والحقك
قريبا بالديار المصرية وتلك الاقطار البهية

فضحك الامير ابن طولون من كلام صاحبه وفي الحال استدعي
بالجياذ فركبوها. وأخذوا يقطعون الدروب والفلوات حتي وصلوا مدينة
بغداد وهناك ودعوا بعضهم البعض واخذ الصاحبان يزرفان الدمع
مدرارا على هذا الفراق

فأرقت صبحي والضمير يئن من ألم النوى واليم شوق مستجن
لا كان يوم فراقهم ابدا فلا امن لدهر ذي غرور مستكن
ثم افترقا وكل منهما قصد وجهة المقصود ووصل الامير احمد بن
طولون الديوان الملوكي ومركز القائد العام الرسمي فقبل احسن مقابلة
وسلمه القائد ابو الفتح أمر الخليفة السامي بحضور ثلة من كبار القواد
ومشاهير الابطال بعد ان هنأه بهذا المنصب الجليل واوعده بزيادة الاثقات
الملوكاني ما دام مثابرا على هذه المهمة العالية والشجاعة المشكورة
وكان أكثر الموجودين فرحا وسرورا معه الامير يار كورج --
كيف لا -- وما خابت تربيته في ابن اخيه الذي حاز على صغر سنه
درجة عالية ومكانة سامية وشهرة فائقة صيرته محبوبا ومحترما عند الكبير
والصغير - فهكذا تكون التربية وهكذا عاقبة الاجتهاد

ما وهب الله لامرئ هبة - افضل من عقله ومن ادبه
هما حياة النقي فان فقداه - ففقدته للحياة أليق به

الفصل التاسع

ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

غدا توفي النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون ما زرعوا
 ان احسنوا احسنوا لانفسهم وان اساؤا فبئس ما صنعوا
 بعد ان افترق احمد بن الواسطي من سيده ابن طولون استمر سائرا
 حتي وصل دار صاحبه الفلاح ومكث بها عدة اسابيع متربصا لتلك العجوز
 الغادرة . ترقبا لفرادها بتلك الدار الي ان كان ذات يوم لها وجيدة وهي
 تمد وبسرعة نحو الدار فافتنى أثرها ولما دخلتها لم يراها انتوسط اول طريقة
 حتى فاجأها بخنجره الماخض وضربها ضربة ألقتها علي وجهها
 فافقده الحواس خامة الانفاس وقد ذهبت روحها الخيشة الي جهنم
 وبأس القرار

مصارع البغي لها صولة تنكس السلطان من عرشه
 فتركها تخبط في دملها وخرج مسرعا وهو ثمل بخمرة الانتصار حيث
 بلغ المراد وشفي غليل القلب وقد قصد دار الامير يار كورج ليبشر صديقه
 لؤلؤ ويحيط علمه بواقعة الحال . ولما وصل وأبصره لؤلؤ أخذته بالاحضان
 وضمه باشتياق وصار يسأله بعد ان اجلسه بفرقة الخصوصية قائلا ..
 أشكر الله علي سلامتك يا صاحبي العزيز ولعل ان تكون تركت الامير ابن
 طولون بصحة كما نرغبه من صميم الفؤاد وتتناه

فتبسم ابن الواسطي لعلمه بان لؤلؤ لا يدري شيئا مما حصل وأجابه
 . لاني يا صديقي لم ار سيدي ابن طولون من منذ رحيله الي الديار المصرية

واسأل الباري عز وجل ان يكون وصلها بكمال الصحة وتتمام العافية

— عجباً ايها الاخ وهل لم تكن برفقته ؟

— بلى لم اذهب معه الى تلك الديار

— ولماذا ؟ . قدني لقد هيجت أشجاني وبلبت أفكاري

فقص ابن الواسطي ما حدث من الابتداء الى الانتهاء ولؤلؤ يزداد
عجبا واستغربا ولكن سر لقتل المعجوز واقسم ان يطلع الامير يار كوزج على
هذه الرواية المجيبة والحكاية القريبة

وفيهما يتسامران ويتحدثان واذا بخادم جواد الامير يار كورج
(السايس) دخل عليهما مهر ولا والمرق يتناثر من جميع اعضاءه فاستفسر
لؤلؤ عن سبب غيظه بهذه الكيفية فاجابه الخادم بان الحادث مهم والخطب
جلل لحدوث انقلاب عظيم بقصر الخلافة وقد أرسله سيده ليديره بمدة
الحرب والظمان اذ ربما تحدث فتنة وتثور المدينة ويحصل مالا تحمد
عقباه

ولما سمع لؤلؤ هذا الخبر أسرع هو وابن الواسطي نحو دار الخلافة
لينظرا ما الخبر ويتحققا هذا الحادث وذلك الخطر

— وكان السبب في هذا الاضطراب هو ان بسماء بن صالح الوصيف
حاجب الخليفة وخازنه لما رأى علو منزلة الوزير يابكيال عند الخليفة ومحبة
المفرطة له حتى منحه النفوذ التام حصل له من الحسد والغيرة ما اشعل نيران
الحقد وحرك لهيب الضغائن خصوصا من عهد ايها الديار المصري

كل العداوة قد ترجى أماتها الا عداوة من مادل من حسد
فأخذ يسمى نحو المهدي بالله ابن عم الخليفة المعز وبذل جهده في دس

المناسك والقاء الفتن حتى نجحت مساعيه الشيطانية ومكن بدهانه العداوة
بينهما حيث أفهمه بان الخليفة ساع في حرمانه من وراثة الخلافة واعطائها
لأحد انجاله وذلك بايعاز الوزير بابكيال

فصدقه المهتدي بالله واتفق معه ومع بعض امراء الدولة ممن يكرهون
الوزير بابكيال كالامير يار كورج وابو القتح (وشبه البيكي) على خلع الخليفة
المعزوق وقد ساعدتهم على ذلك شيخ الاسلام وجماعة من العلماء

ولا يذهب بك العجب ايها القارىء كل مذهب فان المعاصرة حجاب
والضمان لقلوب أولي التقاطع جلباب يرث اخطارا ويلد خطوبا ويسبب
حروبا ويحس الطوالع ويطنس شمس الأمن السواطع فبثت الخليفة
خليفة الضغن والحسد فلها تشق وتزيل اسباب السعادة وتمحو معالم الراحة
وتهيج الباب للناس لا بأسباب غير الزوايا التي يحدثها المكر السيء
ولكن لا يحق الا بأهله

ولو تأمل النصف في سبب انحطاطنا معشر المسلمين لم يجدده سوى ان الموجب
للانحطاط هو التغافل المريب والتقاطع المريع وعدم اعتماد صوت الضمير
المؤمن الذي يشادي بالولا وكمال الوفاء والحباء ولكن هي الاقدار تعمي
اذا تحتت ولا راد لما قضى باري الليل والنهار

وبعد كثير المساعي تمكنوا من اسقاط المعز الثالث عشر ومبايعة المهتدي
بالله وكان ذلك في أوائل سنة ٢٥٥ هجرية بعد ان هاجت المدينة وماجت
بمن فيها وقلقت الحوانيت ونجرت الاحزاب ولولا حسن دراية الامير
يار كورج وشجاعته التي ابرزها في هذا اليوم المهول لحصلت ثورة كبرى
وفتنة جسيمة تعترض الراحة فطع اسبابها وترفع النقاب عن الشقاء الدائم

ولما جلس الخليفة المهتدي بالله على كرسي الخلافة أمر بالحجر على ابن عمه المعتز هو وعائلته بقصر أعد لذلك وسجن الوزير بابكيال مع تنصيب الامير يار كورج بدله وتسميته خاتم الوزارة وكذا الديار المصرية التي كان قد وهبها الخليفة السالف لبابكيال ورجل ابنه اليها كما اسلفنا

تبا لها دنيا قليل متاعها وتبا لدهر غائل الخطب هائل فلما استتب الامن وساد انتظام أراد الوزير يار كورج ان يكتب لابن اخيه احمد بن طولون ويعلمه بما حصل ويجعله واليا عموميا على الديار المصرية فيدير شؤونها ويدير امورها ويعدل فيها ولا يظلم هنا تسنت للوؤ فرصة لاظهار مافي ضميرة واحاطة سيده الامير يار كورج بتفاصيل الحوادث الماضية فدخل في خلوة وقضى بين يديه هذه الرواية القريبة

فاستغرب الوزير من تلك الحكاية وتعجب من هذا الاتفاق وقام فأطلع الخليفة عليها فاذا غدا غضبه على الوزير بابكيال وأصدر امرا بقتله وقتل نجله الامير برقوق ثم طلب من وزيره يار كورج ان يزف السيدة جول علي ابن اخيه ويهبه الديار المصرية مع باقي اطرافها فأجاب الوزير يار كورج وفي الحال جهز ابنته وارسلها الى الديار المصرية صحبة لؤلؤ واحمد بن الواسطي وبرقةتهم الاوردي التاسع تحت قيادة (شبه البيكي) خراستها ولصكى يساعد ابن طولون على تمكين سطوته وزيادة نفوذه وشوخته

مهتدي بالبشر قد نلت المنى فاتركي يا نفس انواع الفكر
وافرحي وقت التصاق قد دنا وزهي الانس سرورا وزدهر

وابشري بالنصر قد زال العنا وهلال القوّة لطقا قد سقر
زال بؤسى وسرورى قد سنا ظمّر عوايي كي ترى وجه القمر



الفصل الماشر

ولكل مجتهد نصيب

ففى الليالى ان تمنى بنظمنا فقدما كما كنا عليه واكلا
فلربما نرى الجمان تصمدا ليمادا احسن فى النظام واجلا
لما وصل الامير برقوق الى الديار المصرية واستقر على تخت عاصمتها الذى
كان مقره بمدينة القسطا (مصر القديمة) جعل احمد بن المدبر وكيلا عاما
من قبله فتصرف المذكور بتلك الديار على حسب هواه مقدما مصلحته
المخصوصه على مصالح وحقوق الاهالى والبلاد مهتما بجمع الدرهم والدينار
حيث ابتدع من الضرائب بدعا اقلت كاهل العباد وجملتهم فى اعظم ضيق
وبلاء فضلا عن ماملتهم بالقسوة ومحاكمتهم بالظلم والجور حتى مجته القلوب
واكرهته النفوس ودعت عليه الالسنه بالهلاك والدمار
اما الامير احمد بن طولون فصار بضد ناك الخطه لانه بمجرد وصوله ابتعد
عنهما جانبا مركزه خارج القسطا بجهة تسمى (مدينة المسكر) واخذ
يسمى بحكمته ودرائته فى جذب القلوب نحوه واستماله النفوس اليه حتى
نجمت مقاصده فى مدة وجيزة واجبه الامير والحقير وتمنوه
واليا على البلاد

عامل الناس باخلاق الرضا تملك الاحرار من غير ثمن
فلما استشعر ابن المدبر بركة ابن طولون واسماله الجارية ضده اخذ يسمي
بدسائسه ومكائده ايتمكن من قتله والقيمة به .. ولكن ابن طولون
لم يمله على ذلك بل علم بمقصده واحتاط بما تكنه سرايره

ومما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم
فصار يحافظ ويحاذر بواسطة انتقاله من جهة الى اخري مظهرا المبالغة
والفتيش حتى انشغل اخيرا بطاردة رجل يدعى ابراهيم بن محمد العلوي
وياقب بابن الصوفي كان قد شق عصا الطائفة واشتولي علي جزء كبير
من الوجه القبلي

فرحل اليه ابن طولون بفرسانه وخاربه حتى تقوي عليه وبدد شمل
عصائبه وفر بن بقي معه خارج الواحات
وفي اثناء رجوع ابن طولون بجيشه ظافرا منصورا قابله الرسل بمشربين
بقدم احمد بن الواسطي ومن معه فتعجب ابن طولون وكاد ان يصاب
بالجنون من عظم دهشته واستغرابه ولكن ثبت جاشه وسارين مصدق
ومكذب حتى قرب من مدينة المنكر فوجد احمد بن الواسطي
ولؤلؤ ينتظرانه بفروغ صبر

وبعد المقابلات الودادية وتقديم ما يليق من التحية اطلموه علي امر
الخليفة واحاطوه بواقعة الحال فسر بن طولون من هذا الانقلاب العجيب
ولما وصل مدينة المنكر وجد الاوردي التاسع ضاربا بها بالهوشاغلا
لها برجاله ودوابه وبين الخيام المصوبة لمع صيوانان من الحرير مزركشا بالذهب
خفق من رؤيته فؤاده وتحركت اشجانه لان به منية الروح وحيدة القلب

قريبته السيد جول فلما حضرت صحبة أميينه باسباب انكسرات مجوزة لا ينح
من الدخول والبناء بها مانع فدخل عليها الاصطوانه فحينما نظرت وقت
منشيا عليها فلما افقت من غشيتها وهو من دهشة ترامت عليه بوجودها
فقالها بتوقه وتبادل القلبان عبارات العتاب تارة وواجبات الود اخري حتي
امتزجا وصارا كالشيء الواحد

اعانقها وانفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تدان
والأشيم قاهما في نزول صلابتي فيشتد ما التي من الهيجان
ولا تسل ايها القاري عن العوامل الهياميه والتاثيرات الغراميه التي
امتلكت المحبوبين في تلك اللحظة مع شدة القرح الذي كاد ان يفترسهما
ويجعلهما صريبي الغرام وفي الحقيقة يعجز اليراع ويوقف القلم متحيرا
في وصف منظر هذين الماشقين الوطنيين الذين التقيا بعد جفوة طويلة وشقة
بعيدة فشوق متخزن والوصل في تمثيل فصوله متفنن

لم يخاق الرحمن احسن منظر من عاشقين علي فراش واحد
متعاقبين عليهما حال الرضا متوسدين بمصمم وبساعده
ولما أصبح الصباح وأضاء الكرم بنوره الوضاح خرج ابن طولون الي
صنوان الاستقبال وعقد مجلسا من الامراء والقوادثم أمر ابن الواسطي
بتلاوة فرمان التمين فثلاه بصوت جهور وما كاد ان يحتمه حتى وقف الجمع
تعظيما وهم في أعظام ارتياح من هذا التمين الذي صادف أهله وجاء طبق
المراد ولقد ارتفعت اصوات الجند بالدعاء لأمير المؤمنين ونائبه الأمير ابن
طولون

(حق البناء لمن طابت خلأقه قالصفو حالقه والمزملنزم)

وبعد ذلك امر ابن طولون فرسان لاوردوين بالاستعداد فلم تنص
برهة حتى اصطادت الجنود واما على القواد ضافات الجياد وساروا وامامهم
بطل دوايتا الهام ووالي القديار تفتق على رأسه الاعلام المباشيه والرايات
الاسلاميه

قالا قربوا من القسطنطين فاباهم امراء وعظماء البلاد وامامهم احمد
ابن المدبر مظايا لقد ومهم واحتراما لاستقبالهم ولما الذي الجمعان سأل الامير
ابن طولون عن الامير برقوق حيث لم يره بيني المحتارين فتقدم في الجبال اليه
ابن المدبر وثلة قارب قالوا

اعلم ايها الامير اقبال وانهم للخطير انه بمجرد وصول الاخبار اليها
باصيب جنك وايها علينا قصيد الامير برقوق لاحتبطه بذلك علما
فوجدته جندلا في وسط غرفته وبجانبه هذا ثم ناوله مکتوبا واذا به

حيث ان الدهر انتقم والعدو احكم والزم انصرم فقد ضمت
على الانتحار وعلى الدنيا السلام

أموت شهيدا للمساوي والاشم	وأرحل مفتونا فهدى غاية الجرم
فكم سولت تيك الفوايه ما هو	بنفسى في تلك الماهامه بالاشم
فشل اخي حالة السوء واتمد	وحاذر فاني فاقد لعل اسمي
نمكن في الخدم حتى أماني	واقع بي في هفوة الموت بالغم
فأب عجز السوء حتى ترى الذي	فقدت به فخر الحياتين والحكم
فلا ذنب الانسان الا جنایة	هى العشق عفو أو بلا حزم
شربت الكأس الموت من يدي التي	جنت وتمدت طوڑها الحكمي
ألا فزير القوم برقوق ذل في	تنوفا فوق ابن طولون ذي الذم

تأمل ولا تحسن ظنونك بالدنا فجل الله للعالمين بما يحمي
فبكي بن طولون عند تلاوة هذا الخطاب وتأنت غاية الأسف لانه
كان صافي النية حزين السريرة وكان معصيا على اكرامه وتعزيره
ولكن سبق السيف المنزل

نويت له الاكرام رغم عدائه ولكن ربي منصف فأمانه
ولما وصل القسطنطين وجلس علي تخت الاحكام جعل بن الواسطي
كاتبه ووزيره ولواؤا حاجبه ومستشاره وابن الدبر لم يمسه بسوء بل
جملة مديرا علي الجراح ولكن بعد ان ابطل كثيرآ من الغرائب والموائد
وهكذا صفي له الزمان وطابت الاوقات ورزق بالبين وصار في
اعظم ما يكون فبعد ان الذي يقول لشيء كن فيكون

خودادتي احيال تجلت لناظري	فوائد اسرار تتالت لساقر
رواية اعصار قوات بحاضري	تأمل تجدها غنية لحاضري
فقيه حديث قد روته خواطري	عن ابن طولون الحمام الثاير
فيه السلامة للسمي وفضله	يرويه أحمد عن سلالة طاهر
يرجو به عفو الاله وفضله	فاختم له بالخير يا غافري



﴿ تذييل الرواية وفصل الختام ﴾

تأمل دنيا لبقى بها وتأتي المنية دون الأمل
استمر الامير ابن طولون واليا على الديار المصرية محبوبا بمنه الإمبر
والحقير حتى عظم أمره وقوت سلطته وازداد نفوذه فطامع بالملك

خصوصاً وقد لاج له اضمحلال شوكة الدولة العباسية وزوال ملكها ودعا نفسه خليفة وعلطاناً على الديار المصرية مؤسساً بها الدولة الطولينية وذلك في خلافة المقتدر علي الله سنة (٢٥٧) هجرية

وأول مشروع قام به تأسيس مدينة سماها (انقطاع الطولينية) بالقرب من مدينة القسطنطينية مدينة المسكرو جبل المقطم حيث خطط فيها قصراً جميلاً امامه ميدان فسبح وتداقمتى به جميع الامراء والنقود حتى صارت تلك الجهة مدينة عظيمة جبالها كرسى الخلافة وعاصمة البلاد بعد ان كانت مدافن للنصارى ومقابر لليهود

وشيد بها جامعاً كبيراً على قمة الجبل في جهة تدعى (توزن فرعون) ومستشفى - قيل انها اذل مستشفى است قصر - وحصناً متيناً وعدة تكايا للفقراء والسبل (محلات لشرب الماء مجاناً) وحدائق عجيبة حتى اتصفت تلك الجهة من كثرة البناء بمدينة القسطنطينية وأنشأ ماينوف عن المائة - سفينة حربية ونظم عشرين أوردياً من الجند والفرسان وأكثر من شراء الممالك حتى كثرت حاشيته وهابه القريب والبعيد

وفي سنة (٢٥٨) شقت أهالي برقة قصا الطاعة فبعث اليها أولوا حاجبه بميش فحاربها وأخضعها فكافأه بحمله واليا عليها

وفي سنة (٢٦٣) بني جامعاً آخر وأبدع في صنعه وتزيينه وهو الذي يوجد لدينا من بعض آثاره الى الآن - قيل انه صرف على بنائه مائة وعشرين ألف دينار - وبعد بناء هذا الجامع توفى (ماجور) والي الشام فاعظم القرصة الامير ابن طولون وسار الى الشام بعد ان خلف على مصر ابنه العباس ولصغر سنه عهد بتدبير الاحكام الى وزيره أحمد بن الواسطي

ولما وصل بجيشه الجرار لقيه ابن اماجور مطيعا فآخذه الي مركزه
 ودار الي حصن فلما عثرة ثم جلب وطارسوس وانطاكيا وبيض مدن
 صغيره وفيما هو مشغول بفتح تلك البلاد بلغه عصيان نجله وفزاره بجميع
 الاموال الي (رقه) فلم يكثر بذلك بل استمر على اعماله حتى انما
 ومدها رجع الي مصر وسير جيشا لاقبض على نجله ففر هذا الي افريقيا
 ولكن لم يترك زمنا حتي قبض عليه واحضر بين يدي والده ولحقوه
 المفترط وحبه الزائد حتي منه بعد ان قتل جميع من اغروه الي هذا الطغيان
 وفي سنة (٢٦٩) بلغه عصيان نائبه بطرسوس فذهب اليه وحاصره
 ومنايحه حتي قبض عليه وقتله وفي اثناء رجوعه عرج علي انطاكيا فرض
 بها ومات وكان ذلك في سنة (٢٧٠) ونقلت جثته الي مصر ودفن
 بسنج جيل المقطم تاركا من الاولاد ثلاثين بين ذكور واناث

ولموتيه حزن عموم اهالي الديار المصريه والشامييه لانه كان شجاعا
 عاقلا عادلا حسن السيرة صادق الطويه محبا للعلم واهله متقربا من
 الفقراء ممدا لهم مائدة كبيرة كل يوم فضلا عن الف دينار وكسور
 يتصدق بها شهريا حتي لقبوه بحاتم مصر

وتولي بعده ابنه (خمارويه) ولكن كان مولما بجميع الطيور واصناف
 الحيوانات غارقا في بحار اللذات مائلا الي الشهوات وقد مكث اثني عشر
 عاما حاكما وخيرا قام عليه القواد فقتلوه سنة (٢٨٢) وولوا مكانه
 ابنه (هارون) واصغر سنه ضمت الاحيام وانكسرت شوكة الدولة
 الطولبية فقام عليه عمه المدعو (شيان) وقتله وتولى على الديار في شهر

صفر سنة ٢٩٢ هجرية

قد ورد إلينا هذا التقرير من حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد
الحياشي صاحب العدالة ومطبعة النبع القويم وهما مؤنسه

الحمد لله وحده أما بعد فمن أمن النظر في هذا الكتاب ومزوياته
الحسان الجامعة ما بين الميادين الفرامية والشؤون الحماسية والتبذ التاريخيه
والنقط السياسيه واجهد الفكر في التأمل لما يذكر فيه من المناسبات
الادبيه نثرا ونظما لا يسهه الا الاعتراف بمظيم العقل لحضرة صاحبه
وجامعه ومؤلفه الفاضل والشاب المذهب الكامل احمد أفندي حق
نجل الطيب الذكر المرحوم محمد أفندي فريد ولاغرو قانه المعلوم بين
اخوانه بجودة القريحة وحسن التحرير ومريد الإصلاح أكثر الله
من امثاله في بني الوطن ووجه عنايه الجميع الي تعميد العلوم والمعارف
المهذبه للاخلاق والمريسة للارواح علي نحو التكامل والخلول والعمل
علي سنن الجد والاجتهاد آمين يارب العالمين

صاحب العدالة

محمد حياشي

وكان الفراغ من طبع هذا الكتاب الجليل في منتصف

شهر محرم سنة ١٣١٦ هجرية الموافق ٤ شهر

يونيو سنة ١٨٩٨ ميلادية

